الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي ولبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة–

كلية الآداب و اللغات

القسم :اللغة و الأدب العربي

رقم :L15/210

ميدان: لغة وأدب عربي

الفرع :دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي حديث

مذكـــرة مقـــدمة لـــنيل شهـــادة المـــاستر أكاديمـــي

إعداد الطالب (ة) : نعيمة رحلي

تحت عنوان :

تجليات الرومانسية في رواية الفضيلة

"لمصطفى لطفي المنفلوطي"

تاريخ المناقشة: 2017/05/11.

لجنة المناقشة:

د/ محمد بن صالح	جامعة : المسيلة	رئيسا
د/ :الهادي سمية	جامعة : المسيلة	مشرفا ومقررا
د/ ضيف عبد المالك	جامعة : المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1438/1437هـ ــ 2017/ 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

مقدمة:

تعد المذاهب الأدبية تعبيرا عن حالات نفسية، وعن ظروف معينة تنشأ هذه المذاهب لتعكس روح العصر، وقد ظهرت هذه المذاهب أول ما ظهرت في الغرب الذي وضع أسسها فكان ظهور أول مذهب أدبي لدى الغرب هو الكلاسيكية، التي كان أدبها موجها للنخبة بحيث لم تعر الفرد البسيط العادي أي الاهتمام بالإضافة الى سيطرت العقل على الإنتاج الأدبي لهذا المذهب، ونظرا لتوفر كثير من الظروف بشتى أنواعها (سياسية، أدبية ....) والتي واكبت التطور الحضاري لدى الغرب بالاظافة الى الرغبة في التغيير نشأ المذهب الرومانسي الذي أعاد الاعتبار للفرد وسمح له بحرية التعبير عن آلامه وأماله ،وخلص الأدب من لغة العقل الجافة وطغت عليه لغة العاطفة فلاقى هذا المذهب الأدبي رواجا وقبولا كبيرا لدى الأدباء والقراء، فكانت الرومانسية عبارة عن ثورة حررت الفرد والأدب من الكلاسيكية، وعمت هذه الثورة العالم بأسره وانتشر الأدب الرومانسي من شعر ونثر، ووصل صداها إلى العالم العربي جراء عوامل كثيرة ومن بينها اتصال العرب بالغرب عن طريق الترجمة والبعثات العلمية وغيرها من الأسباب التي سهلت امتداد هذا المذهب في الوطن العربي، الذي كان عبارة عن مسرح الحروب ولأن نفس العربي كانت تواقة للتحرر والتخلص من الظلم بالإضافة الى الرغبة في التجديد على مستوى حياته الفكرية والأدبية التي أتاحت الفرصة أمام الأديب العربي لينتج أعمالا أدبية رومانسية، وتكتل الأدباء فيما بينهم مشكلين تجمعات أدبية تتبنى المذهب الرومانسي، فكان لشعر حظ كبير من الرومانسية، إلا أن هذا لا يعني انه لا توجد أعمال نثرية رومانسية لأن هذا المذهب عم الأدب بمختلف أجناسه الشعر والمسرح والقصة والرواية التي نالت حظها من المذهب الرومانسي.

ولأن المنفلوطي كان من بين الذين أضفوا على النثر العربي مسحة رومانسية من خلال ترجمته لكثير من الروايات الرومانسية الغربية ،وانطلاقا من رغبتي في قراءة الرواية واستكناه الرومانسية في رواية "الفضيلة " "لمصطفى لطفي المنفلوطي" اتخذت هذه الرواية

لتكون مادة لبحثي وهدفي من ذلك الخروج عن دائرة دراسة الرومانسية في الشعر واثبات رومانسية رواية "الفضيلة" فجاء بحثي موسوما بـ: "تجليات الرومانسية في رواية الفضيلة لمصطفى لطفي المنفلوطي".

ومنه فهل يمكننا اعتبار رواية الفضيلة عملا رومانسيا؟ وإذا كانت كذلك فما هي ابرز الخصائص الرومانسية التي تتجلى فيها؟ وللإجابة عن هاته الأسئلة اعتمدت على خطة بحث اشتملت على مقدمة، وفصلين، وخاتمة، حيث تناولت في الفصل الأول الموسوم بـ: المذهب الرومانسي وخصائصه الفنية: تعريف الرومانسية وعوامل نشأة الرومانسية الغربية وأعلامها كما تحدثت عن الرومانسية العربية وعوامل نشأتها ومدارسها ثم خصائص المذهب الرومانسي بشكل عام، بالإضافة الى الرواية الرومانسية.

أما في الفصل الثاني الموسوم بملامح الرومانسية في رواية الفضيلة كان عبارة عن دراسة تطبيقية على الرواية من خلال استجلاء بعض خصائص الرومانسية فيها وهي: الطبيعة، والخيال، والعاطفة، متبعة في ذلك المنهج الوصفي التحليلي معتمدة على رواية الفضيلة للمنفلوطي كمصدر أساسي الى جانب مجموعة من المراجع التي من بينها: المذاهب الأدبية لمحفوظ كحوال، والأدب تعريفه أنواعه مذاهبه لـ: أنطونيوس بطرس، والرومانسية في الشعر الغربي والعربي لـ: إيليا الحاوي.

وفي الأخير أتمنى ان أكون قد وفقت ولو بشيء قليل في بحثي هذا، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر للجامعة التي فتحت لي أبوابها لمواصلة دراستي وكل القائمين عليها وعلى وجه الخصوص أساتذتي الأفاضل، بالإضافة إلى لجنة المناقشة التي تجشمت عناء قراءة البحث وتقيمه، ولأستاذتي الفاضلة "الهادي سمية" المشرفة التي لم تبخل علي بتوجيهها وإرشادها.

الفصل الأول:

المذهب الرومانسي

وخصائصه الفنية.

1- الرومانسية عند الغرب.

2- الرومانسية العربية.

3- خصائص الرومانسية.

4- الرواية الرومانسية.

أولا: الرومانسية عند الغرب

1) تعريفها: الرومانسية من بين المذاهب الأدبية الغربية التي نشأة في أواخر القرن الثامن عشر على أنقاض الكلاسيكية، فكانت مذهبا يدعوا للتحرر من قيود العقل وإعادة النظر إلى الذات، "فإن طابعها الأساس قد كان الثورة على الكلاسيكية وعلى كافة أصولها وقواعدها، حتى ليمكن القول بأن الرومانسية قد كانت جوهرها ثور: تحريرية للأدب من سيطرة الآداب الإغريقية واللاتينية القديمة"[1].

"ويرجع أصل كلمة (Romantisme) الفرنسية إلى (Roman) التي كانت تعني في العصور الوسطى قصة المخاطرة، أو المغامرة، وانتقلت بعدئذ إلى الإنجليزية (Romunt) واشتقت منها الصفة (Romantic) وبالفرنسية (Romantique) وإلى الألمانية (Romantik) ومنها الصفة (Romantisch)"[2].

وقد ورد أيضا بأن مدلول لفظة الرومانسية "أنها مشتقة من كلمة (رومانيوس) التي أطلقت على اللغات والآداب التي تفرعت عن اللغة اللاتينية القديمة، والتي كانت تعتبر في القرون الوسطى كلهجات عامية للغة روما القديمة أي اللغة اللاتينية"[3].

لقد تعدد واختلف في بعض الأحيان مدلول لفظة "الرومانسية" فلم يكن لها مفهوم محدد بالضبط، "فأحيانا كان يعني القصص الخيالي، وأحيانا التصوير المثير للانفعال وتارة ما يتصل بالفروسية والمغامرة، والحب وتارة أخرى المنحى العفوي أو الشعبي أو الخروج من القواعد والمعايير المتعارف عليها، أو الأدب المكتوب بلغات محلية غير اللغات القديمة، كالفرنسية والإيطالية والبرتغالية والإسبانية"[4].

فالرومانسية حتى من خلال مفهومهما يتضح أنها تسعى لتجاوز مبادئ الكلاسيكية والتخلص منها التي كانت تولي أهمية كبيرة للعقل.

---

[1] محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للنشر، يناير 2004، مصر، د.ط، ص59.

[2] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2005، د.ط، ص267.

[3] محمد أحمد ربيع: في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الفكر، عمان، 2006، ط2، ص92.

[4] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، دون دار النشر، د.ب، د.ت، د.ط، ص55.

في حقيقة الأمر ليس بالشيء اليسير ضبط مفهوم الرومانسية وذلك نظرا لكثرة ما قيل عنها "لدرجة أنه أصبح لا يعني شيئا محددا في نظر بعض النقاد ... ولكن على الرغم من ذلك فإن هناك خصائص عامة مشتركة بين معاني الرومانتيكية"[1].

ولعل جان-جاك روسو (J-J ROUSSEAU) أول من استعمل هذه الكلمة (رومانسية) في وصفه لإحدى بحيرات سويسرا، بقوله: "إن شطآن بحيرة بيان أكثر وحشية ورومانسية من شطآن بحيرة جنيف، لأن الصخور والغابات أكثر متاخمة لمياهها"[2].

إلا أنه كانت في كثير من الأحيان نطلق لفظة الرومانسية في مقابل الكلاسيكية "وكان (وليام شليجل) (A-W SHLEGEL) أول من بدأ بمعارضة (الرومانتيكية) ب(الكلاسيكية) على أنها اتجاه جديد في الأدب، ثم تلته "مدام دي ستال" (Madame De Stael)"[3].

أما في الاصلاح "تطلق الآن كلمة "الرومانسية" على مذهب أدبي بعينه ذي خصائص معروفة، استخلصت على المستوى النقدي من مجموع ملامح الحركة الأدبية التي انتشرت في أوربا في أعقاب المذهب الكلاسيكي، وكذلك على هذه الفترة وما أعطته من إنتاج على المستوى الإبداعي"[4].

لتصبح الرومانسية "مذهب عاطفي يتغنى بآلام الإنسان وأحيانا بميزاته، وهو أدب شخصي يهتم بمشاعر الفرد الخاصة ويترنم بها، وهو مذهب قليل الاحتفال بمجاراة العقل والخضوع لأحكامه"[5] كما يقال عنها أنها "بصفة عامة حالة نفسية أهم خصائصها زيادة الحساسية وعدم القناعة بما يمليه العقل"[6].

فالرومانسية أتاحت للأدباء فرصة للتعبير عما يختلج بذواتهم.

فستندال (Stendhal) يقول: "إن الرومانتيكية هي الفن الذي يقدم للشعوب آثارا أدبية من شأنها أن تحدث فيها أعظم لذة ممكنة."[7]

---

[1] محمود الربيعي: في نقد الشعر، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، د.ط، ص89.

[2] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص267.

[3] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007، د.ط، ص65.

[4] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، (دون دار نشر)، د.ب، د.ت، د.ط، ص56.

[5] محمد مندور: في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت، د.ط، ص103.

[6] مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ط2، ص189.

[7] محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، د.ت، د.ط، ص155.

فالرومانسية استطاعت أن تسمو بالفنون بشكل عام والأدب بشكل خاص ولذلك يمكننا أن نقول بأنه "أينما كان الفن ممجدا كانت الرومانسية."[1]

إن الرومانسية لم تكن حكرا على الأدب فقط، بل مست أيضا الموسيقى والرسم.

2) عوامل نشأة الرومانسية الغربية:

إن الحديث عن نشأة الرومانسية ليس بالشيء اليسير إذ لم تنشأ فجأة دون سابق إعلان، فقد ساهمت الكثير من العوامل المختلفة في بعثها للوجود، "ظهرت الرومانتيكية في أواخر القرن الثامن عشر في أوربا ثم في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد قامت في (انجلترا) أولا ثم في (ألمانيا) ،ثم (فرنسا) ثم (إسبانيا) و(إيطاليا)"[2] ولم تتوقف عند هذا الحد بل ظلت في الانتشار في أقطار العالم إلى أن وصلت إلى العالم العربي.

الرومانسية "هذا الاتجاه المتميز المعقد الذي وجد تعبيره في مجالات الفن المختلفة"[3] حاربت الكلاسيكية ودعت إلى حرية الفن ولاذت بالشعر المجنح بأشجان العاطفة، المعنى في الأحلام والخيالات والرؤى وحب الطبيعة، واتسم بالطابع الفني، والأصالة المبتدعة، ... والروح الغنائي الأخاذ، والانطواء على النفس، والثورة على كل ما هو قديم"[4].

ويمكننا اعتبار وجود أعمال وليام شكسبير (William Shakespeare) من البذور الأولى التي مهدت للرومانسية من خلال مسرحياته المتميزة وما جاء به من تجديد استطاع ولوج النفس البشرية والتعبير عما يختلج بها، فتجاوز بذلك المسرح الكلاسيكي، ففضلت مسرحياته "لأنها خير منها في فلسفة العواطف والدراسة العميقة لطبائع الناس ولأن فيها

[1] سيدي ولد ديب: الجماليات الرومانسية، راهنيتها وحدودها، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2006، ط1، ص29.

[2] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص65.

[3] فؤاد المرعي: المدخل إلى الآداب الأوروبية، منشورات جامعة حلب، 1981، ط2، ص181.

[4] محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، ص155.

تصويرا عبقريا للألم فيه إثارة للشفقة بمخلوقات غير ذات مكانة في المجتمع، بل بمخلوقات محقورة أحيانا"[1].

ومن أشهر أعماله "روميو وجلييت" كما أثر في عديد الأدباء الفرنسيين، والألمان فصار قدوة لكثير منهم فقال جوته: "...إن أول صفحة قرأتها منه (شكسبير) جعلتني عبدا له ما حييت، وعندما أتممت المسرحية الأولى من مسرحياته كنت أمه مسته يد سحرية فأضاءت في لحظة عينيه، فعلمت وأحسست أكثر من ذي قبل أن وجودي قد اعتدت إلى مالا نهاية ... وسبحت في جوحر"[2].

"وكان (جوتهGoethe)من جمعية الكتاب الألمان الذين أطلقوا على أنفسهم اسم (شتورم أند درانجSturm undDrang) أي: (العاصفة والانطلاق)، ومن أكبر من ساهموا فيها(هردرHerder) و(شيلرSchiller)، وقد تأثروا جميعا بشكسبير في نواحيه الفنية والفلسفية ... كما تأثروا كذلك خاصة بـ(ستيرنSterne) من بين الإنجليز، ثم بـ(ديدروDidrot) وروسو من بين الفرنسيين، وكانوا هم صورة مصغرة للحركة الرومانتيكية الألمانية فيما بعد، إذ نادوا بمبادئ ثورية في الأدب والمجتمع، فأنكروا القواعد الكلاسيكية لأنها تقيد العبقرية"[3].

لقد اختلفت وتنوعت العوامل التي ساهمت في ظهور الرومانسية، والتي من بينها الرغبة في التغير التي بدأت تتكون والكلاسيكية لم تزل قائمة، حيث كان بعض كتابها "يميلون دوما إلى الوطنية ... والتغير في بعض المعايير الأدبية المتشددة"[4].

[1] محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ت، د.ط، ص35.

[2] المرجع نفسه، ص36.

[3] المرجع نفسه، ص37.

[4] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص56.

بالإضافة إلى الرغبة في التخلص من الكلاسيكية التي ربطت الأدب بالأصول والقواعد القديمة، فكان الرومانسيون يقولون: "مالنا ولآداب الإغريق واللاتين وأصول فنهم، وأمامنا تاريخنا القومي وثقافتنا القومية، بل وروحنا القومية نطلب إلينا أن نصدر عنها، وأن نتخلص من القيود والأصول التي تكبل ملكاتنا وتبقينا نبعا وذيولا للآداب القديمة وأصولها المدعاة، فكانت الرومانسية في أوربا ثورة على الكلاسيكية، ومحاكاتها وعلى أصولها وعلى قواعدها وعلى كل بيت إلى أصول الصنعة والبلاغة اللفظية في الأدب القديم"[1] إلى جانب العامل الاجتماعي والسياسي: "فالقرن الثامن عشر في أوربا عصر زلزلة في القيم، وتبدل في الطبقات الاجتماعية، واستخفافا بالمبادئ القديمة، وقد صحب هذه الحال بعض التحلل الخلقي، وقامت إلى جانب هذه الزلزلة (في القيم والمبادئ والأخلاق) جهود معتبرة ترمي إلى التحرر السياسي والفكري والاجتماعي، وذلك على يد الطبقة "البرجوازية" المتناقضة في رؤاها ومبادئها للطبقة الأرستقراطية، وكانت ثمرة هذه الحركات "ظهور الثورة الفرنسية سنة 1789م، التي ساعدت على تدعيم حرية الكاتب بإقرارها مبدأ الحرية"[2] "فعلى ضوء المصابيح الثورية، وعلى صوت مدافع الثورة الفرنسية ظهرت طبقة جديدة تسلمت مقاليد الحكم والسلطة الدينية وأعلنت الحرية، وأخذ الشعب يمارسها فعلا، وظهرت مفاهيم الأمة والشعب والمواطنة والحرية والمساواة والعدالة وعم هذا التيار كل أوربا منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى أواسط القرن التاسع عشر، وهي الفترة الموازية لتصاعد القوميات وشعور الأدباء بغنى الألوان المحلية وضرورة العودة إلى المنابع الحية للإلهام"[3].

أما العامل الفلسفي: فقد "تمثل في دعوات الفلاسفة واهتماماتهم الكبيرة بالفلسفة العاطفية، ورد الاعتبار إلى النفس البشرية، ومن أهم هؤلاء الفلاسفة (لوك LOCKE) الإنجليزي

[1] حامد حنفي داود: تاريخ الأدب الحديث، تطوره، معالمه الكبرى، مدارسه، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993، د.ط، ص111.

[2] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص66.

[3] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص57.

و(كوندورسيCondorcet) الفرنسي، إذ قررا أثناء حديثهما عن العواطف طأن النفس ليست سلبية بل عاملة، وأساس عملها منحصر في الرغبة التي يثيرها القلق، وبها تتابع عواطفنا وتتحدد، وتتكاثر، ومصدر الرغبة العاطفة"[1] فقد "شكل مجموعة من الفلاسفة فيما بينهم دائرة معارف كبيرة فسموا أنفسهم "دائرة المعارف" غلب عليها حرية الفكر والتحلل من التقاليد ومن الدين ومنهم (هولباج، Holpag) و(فولتير، Voltaire)"[2] كما لا ننسى "جهود كل من الفيلسوف الفرنسي (ديدور) (1713-1784م) والفيلسوف الألماني (كانت "Kante1724-1804م") إذ ثار هذان الفيلسوفان على فلسفة أفلاطون (نظرية المثل) وفرقا بين الشيء الجميل والشيء النافع (أي طبيعة الجمال وحقيقته) بالإضافة إلى الفيلسوفين الألمانيين (فريديريك نتشهFriedrich Nietzsch)، و(تشوبنهاورSchopenhauer"1788-1860م") في إرساء دعائم الرومانتيكية ودفع عجلتها إلى الأمام بفلسفتها التشاؤمية الحزينة"[3] أما العامل الأدبي الذي ساهم هو الآخر في ظهور الرومانسية فقد تمثل في دور وليام شكسبير "1564-1616م" والذي سبق ذكر، فقد تأثر به عديد الأدباء ومنهم (فيكتور هيغوVictor Hugo"1802-1885م") بفنياته المجددة وقام بدعوة رفاقه من الرومانتكيين السير على منواله[4].

لقد اجتمعت هذه العوامل وساعدت على نشأة الرومانسية والتي كان على رأسها جهود وليام شكسبير، بالإضافة إلى الرغبة في التعبير، والرغبة في التحرر والتخلص من الكلاسيكية، بالإضافة إلى جهود بعض الفلاسفة، كما لا يمكننا أن نغض الطرف عن الصراع الطبقي والذي تمخضت عنه الثورة الفرنسية التي بثت الحرية في شتى مجلات الحياة وبالأخص حرية التعبير والتفكير التي أعطت ثمارها في الأدب بشكل كبير.

[1] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص57.

[2] محمد مندور: الأدب والنقد، ص102.

[3] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص66.

[4] ينظر المرجع نفسه، ص66-67.

3) أعلام الرومانسية الغربية:

لقد لمع في سماء الرومانسية كثير من النجوم، "ففي إنجلترا ظهر (توماس جراري Thomas Jrrari"1716-1771م")، (وليام بليكWilliam Blake"1757-1827م")، و(شيليChilien"1792-1822م")، و(كيتس Kitts "1795-1821م")، و(بايرونByron"1788-1824م") فأشعارهم زاخرة بالعاطفة الجياشة والاحساس العميق والفردية المتطرفة والغموض الميتافيزيقي ... وكان لديهم إيمان عميق بأن الشاعر لا يكتب إلا عن طريق الحلم"[1].

بالإضافة إلى "وليام وردزورت (Wardsworth) (1770-1850م) وصوميئيل تابلور كولردج (Coleridge) (1772-1834م) حيث ألفا كتاب بعنوان "حكايات غنائية" "LyrcalBallads"، حيث أوضح وردزورث في مقدمة هذا الكتاب أن لغة الشعر هي لغة الحياة الحياة اليومية وليس ثمة ألفاظ خاصة بالنثر وأخرى بالشعر."[2]

"وفولتير (1694-1778م) الذي كان يمثل التيار العقلي لنشوء المدرسة الرومانسية الفرنسية وجون جاك روسو (1712-1778م) فكان يمثل التيار الروحي الذي يعطي أهمية كبيرة للعاطفة"[3].

أما (مدام دو ستايل madame de stael "1766-1817م") فيرى الدكتور ياسين الأيوبي أن فرنسا قد استقبلت الرومانسية على يدها، من خلال كتابيها (عن الأدب) الذي صدر في سنة "1800م"و"عن ألمانيا" الذي صدر في "1810م"."[4]"التي تميز أسلوبها

[1] نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، د.ط، ص160.

[2] إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر، عمان، 2007م، ط2، ص37.

[3] المرجع السابق، ص161.

[4] محمد أحمد ربيع: في تاريخ الأدب العربي الحديث، ص92.

بالتشويق في نقلها النشاط الفكري والأدبي والفني في ألمانيا ... بالإضافة إلى ما جاء في كتابهما من عاطفة وانفعال."[1]وكذلك فعل (شاتوبريانChateaubriand) إذ نقل إلى فرنسا ترجمانه عن الرومانسية الإنجليزية"[2] ومن مؤلفاته:

- ليلة ربيع (Nuite de printemps).
- المساء قريب البحر (Le Soir au bord de la mer).
- الغابة (la forit).
- البحر (La mer)[3].

كما نجد أيضا "(أ، ديلامارتينAlphonse de Lamartine) الذي يعتبر ديوانه (التأملات) الذي صدر في أربع طبعات طوال ست وثلاثين سنة (1820-1856م"، من أهم الكتب، حتى ذلك التاريخ، الذي تجسد الروح الرومنطيقية، والتي وضعت حدا لصالح الحركة الجديدة، وأبرزها يميز قصائد هذا الديوان، البساطة والصدق، والوجدانية الشفافة..."[4] حيث يقول في إحدى قصائده: "الوحدة" من ديوانه "تأملات":

غالبا ما أقصد الجبل عند الأصيل

وأجلس حزينا في ظل سندبانة هرمة

أسرح نظري في السهل المنبسط في الأسفل

حتى تغير المناظر أمامي

*****

[1] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص275.

[2] نسيب نشاوي: ص161.

[3] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص67.

[4] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص279.

هنا يزمجر النهر بأمواجه المزبدة

وينساب الأفعى إلى البعيد المعتم

وهناك تبسط البحيرة الساكنة أمواهاالنائمة

حيثتتراءى نجمة المساء في زرقة السماء

*****

وعلى ذرى هذي الجمال المكللة بالغابات الداكنة

يخلف الأصيل آخر شعاع له

وتصعد ملكة الظلمات بمركبتها البخارية

فتترك في بعض البياض على أطراف الأفق

*****

في تلك الأثناء ينبعث من القبة القوطية

صوت راهب مترددا في الأرجاء

فيتوقف المسافر، وتمتزج التراتيل المقدسة

بطنين الجرس القديم، في أخريات النهار

*****

ماذا يمكن أن تقدم لي هذه الأوداء والقصور والأكواخ؟

أشياء عديمة القيمة فقدت سحرها في عيني:

أنهار، صخور، غابات، عزلة حبيبة،

أشتاق إلى كائن وحيد، وما تبقى قفر وخلاء

*****

حين تتساقط أوراق الغابة في المروج

يهب هواء المساء ويحملها إلى الأودية

وأنا أشبه هذه الأوراق الميتة

فاحمليني مثلها يا رياح الشمال.[1]

بالإضافة إلى أسماء أخرى: "مثل (فيكتور هوجو 1802-1885م) الذي أكد في مقدمة ديوانه "الشرقيات" أن الشاعر حر في استلهام موضوعاته وفي اعتبار مصادره، فوجه ضربة إلى الكلاسيكية التي كانت تستقي من الأقدمين"[2].

ومن مؤلفاته:

- الشرقيات 1830م Les orientales.
- هرناني 1830م Hernani.
- سيدة باريس 1831م Notre Dame de paris.
- أوراق الخريف 1830م Les feulles d'automne.
- أغاني الأصيل 1835م Les chants du crépuscule.

[1] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص280-281.

[2] المرجع نفسه، ص284.

- الأصوات الداخلية 1837م Les Voix Intérieures.
- الأشعة والظلال 1840م Les rayons et les ombres.
- العقوبات 1853م Les châtiments.
- التأملات 1856م Les contemplations.
- أسطورة العصور الوسطى 1859-1883م Les Légende des sciécles[1].

"لقد وجدت الرومانسية أساسا في أوروبا تحت ضغط ظروف اقتصادية وفكرية معينة على التيار الكلاسيكي بكل ما فيه من معوقات تحول دون الفرد وحريته"[2].

فتضافرت جهود هؤلاء الكتاب وكذا النقاد في إرساء قواعد الرومانسية من خلال مؤلفاتهم المتنوعة مما جعل المكتبة الرومانسية غنية رغم اختلاف مصادرها.

ثانيا: الرومانسية عند العرب.

1) عوامل نشأتها:

إن الأدب العربي هو الآخر تأثر بالمذهب الرومانسي "وتسربت إليه الرومنطقية في بعض مراحله المعاصرة لكننا لا نعرف على وجه التحديد، من بدأ ذلك ومن انتهى"[3]. إلا أننا نعلم بأن هناك ظروف ساعدت وسهلت وصول الرومانسية إلى الأدب العربي فقد ظهرت حركات أدبية وعوامل وظروف متنوعة أدت إلى تألق هذا المذهب، ومن هذه العوامل:

التأثر بالغرب من خلال "اتصال العرب بآداب الغرب عن طريق الترجمة والبعثات العربية إلى جامعات أوروبا، والمستشرقين والأساتذة الغربيين الذين عملوا في الجامعات

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] مصطفى هدارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1990م، ط1، ص162.

[3] فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومانطقية في الأدب العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، د/ط، ص25.

العربية وعنوا بنشر الأدب الغربي بين الشباب العربي وبخاصة آداب شكسبير وشيلي وهوجو، ولامارتين، وأناتول فرانسAnatole France، وألفريد دي موسي Alfred de Moussa، وجوته، وكذلك عن طريق المدارس الأجنبية التي أنشأت في ربوع الشرق العربي"[1] "ما سمح لهم بالاطلاع على ما توصل إليه الغرب من أسرار الصياغة الشعرية ووسائل التصوير والإيماء ... وأن هناك أغوار في النفس الإنسانية ... وأسرار في الطبيعة ... كما أن هناك مواضيع الجمال ومثيرات الشجون، وآلام الآمال ... ما لم يضع عليه قدماء العرب، بينما نفذ إليه الغربيون، وبهذا أثرت هذه التيارات الفكرية والشعورية في تطور الشعر العربي الحديث"[2].

فالرومانسية كانت في مستوى تطلعات الأديب العربي الذي كان هو الآخر في حاجة للتعبير عن نفسه وآلامها وأحلامها.

بالإضافة إلى التجمعات الأدبية مثل حلقة (اسكندر العازار "1855-1916م") مدرسة "الديوان" الرابطة القلمية "1920-1931م" مدرسة "أبولو 1932-1934م" جماعة "الثالوث الرومانسي"،"عصبة العشرة"، هكذا نجد الأدباء في هذه المرحلة بمليون إلى التكتل والتجمع في جماعات أدبية وروابط توحد بينهم نظرة كلية إلى طبيعة العمل الأدبي وأدواته، فيصنعون لأنفسهم أسسا تقوم في أكثر الأحيان على ما تبناه الغربيون من أراء المدرسة الرومانسية.

كما لا يمكننا أن ننسى دور المجلات والصحف الداعية للتجديد مثل:مجلة "السمير 1929م" لإيليا أبي ماضي، ولعبد المسيح حداد مجلة "الفنون 1930م" "والسائح" حيث كانت تنشر فيها أعمالهم.

[1] محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج1، ط1، ص45.

[2] نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية، ص168.

بالإضافة إلى الانتقادات التي وجهت للإتباعيين مثل: البارودي، وشوقي، ومعاناة الجبل بعد العرب العالمية الأولى من عذاب وجهود وكبت للحريات والعواطف[1].

إذا "ليس من المصادفة أن يغلب التيار الرومانسي على حركة التجديد في العالم العربي، إذ كانت كل الظروف والملابسات فيه سياسية كانت أم اقتصادية أم فكرية تمد هذا التيار بالحياة والوجود"[2] "فتيقظ الوعي عند الكتاب ... وحمل العقاد والمازني، وعبد الرحمان شكري من جانب، وخليل مطران من جانب آخر لواء تحرير الأدب"[3].

فهناك عديد الآراء الأولى للرومانسية مع "خليل مطران 1872-1949م" "المرهف المثقف والمضطرب أيضا بين الكلاسيكية التي بقي ..... ونوازع جديدة تراوده."[4]

"والذي دعا إلى الحرية الفنية، التي تحترم شخصية الشاعر واستقلال الفن عن الصناعة والأناقة الزخرفية، ودعم وحدة القصيدة، وأبرز كل شيء في هذا الوجود -صغيرا أو كبيرا كموضوع شعري، خليق بعناية الشاعر، وأهل للتناول الفني إذا ما استطاع الشاعر أن يتجاوب معه، وطرق الموضوعات الإنسانية، بدل الاقتصار على العواطف الذاتية، وكان يقول: "أريد التجديد أكثر مما أردته في كل آن أريده ولا أكفيه أريد أن تكون لغتي شريكتي رؤية وسماعا وشعورا تلقاء كل ما يجد، وأن تتناوله وأن تعينني على الإفصاح عنه[5]. وهذا إن دل على شيء فيدل على الرغبة الجامحة في التغيير.

2) مدارسها: وظلت الرومانسية تنتقل بين الأدباء والكتاب فتكتلوا فيما بينهم، وأخذوا يرتقون بالأدب، ومن بين أبرز مدارس الرومانسية العربية:

---

[1] ينظر نسيب نشاوي: مدخل إلى المدارس الأدبية، ص168-169-172-175.

[2] مصطفى هدارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، ص162.

[3] عبد العاطي شلبي: دراسات في فنون الأدب الحديث، المكتب الجامعي الحديث، اسكندرية، 2005، ط1، ص14.

[4] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى، عين المليلة، الجزائر، 2004، د.ط، ص93.

[5] محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث، ص45.

أ) **الديوان:** "تأسست في "1921م"، كانت أول المدارس التي فتحت النوافذ كلها على الشعر الغربي وعلى مذاهب الغرب في الأدب والنقد، وراودها ثلاثة هم: عبد الرحمان شكري، عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني"[1].

"حيث أن تأثر هذه الجماعة بالرومانسية الغربية جلي جدا، إذ يقول شكري "ومن المشاهد أن الشاعرين الذين تأثرت بهما في أول الأمر، كانا "بيرون، وشيلي" وأعجبت ببيرون لقوة شعره، وبشيلي لطموحه إلى المثل العليا"[2].

كما قال أيضا عن مواصفات الشاعر العبقري "يمتاز الشاعر العبقري بذلك الشره العقلي الذي يجعله راغبا في أن يفكر كل فكر، ويحس كل إحساس"[3].

وقد وضح العقاد أن تأثره وتأثر صاحبيه المازني وشكري بالرومانتيكية الإنجليزية "لم يعد تأثير تقليد وفناء، وإنما كان التشابه في المزاج واتجاه العصر."[4]

بالإضافة إلى تأثرهم بمفهوم الشعر الذي جاء به وردزورت "إن العملية الشعرية انسياب تلقائي للمشاعر القوية" وهذا التعريف شبيه جدا بتعريف عبد الرحمان شكري: "الشعر تدفق الأساليب الشعرية كالسيل"[5].

فالعقاد يرى بأن تقليدهم للغرب ليس تقليد أعمى ناتج عن الانبهار بالأدب الغربي إنما تشابه الظروف فرض ذلك.

"لقد تميز شعر جماعة الديوان الثلاثة بالعنصر الذاتي فهو شعر يعبر عن مشاعرهم الشخصية، وأفكارهم ... وقد كان إدخال هؤلاء الشعراء للعنصر العاطفي الذاتي إلى الشعر أهم انجازاتهم الشعرية، فقد انتقل هذا بالشعر خطوة أخرى نحو الوصول إلى شعر التجربة الذاتية الذي أصبح يكتب بعد حين ... عبر هؤلاء الشعراء الثلاثة إلى درجة محدودة عن المزاج الرومانسي الذي كان قد بدأ يستحوذ على المجتمع، ووصفهم النقد بأنهم جماعة غاضبة، مشردة، عاكفة على الذات مصابة بالقلق وبمشاعر التغرب والثورة والحزن وهذه

[1] محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس الشعر الحديث، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004، ط1، ص109.

[2] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص73.

[3] محمد مندور: النقد والنقاد المعاصرون، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، 1997م، د.ط، ص48.

[4] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص73.

[5] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

صفات رومانسية"[1] "وقد أصدرت هذه المجموعة وبالضبط اثنان منها، وهما: العقاد والمازني، عام 1921م كتابا نقديا باسم الديوان، ... وانتصرا في الديوان للمذهب الرومانسي، ودعوا الأصول هذا المذهب الفنية في شعر كالوحدة العضوية، والتجربة الشعرية"[2].

1-الخصائص الفنية لمدرسة الديوان:

-التنويع في القافية والدعوة إلى الشعر المرسل.

-ضرورة توافر الصدق الفني في القصيدة الشعرية.

-التأثر بالطبيعة والذوبان في أحضانها.

-الخيال المجنح والابتعاد عن الواقع.

-الاهتمام بالوحدة العضوية.

-رفض شعر المناسبات.

-النزعة الإنسانية.

-التلقائية بالتعبير والبعد عن الصنعة والتكلف[3].

"استطاعت جماعة الديوان أن تحافظ على وحدتها لعدة سنوات وأن تعبر خلال هذه السنوات وبعدها عن اتجاهها العام شعرا أو نثرا"[4] وقامت هذه المدرسة بإرساء دعائم المدرسة الرومانسية من خلال نظرتها الخاصة المتأثرة بالرومانسية الإنجليزية على وجه الخصوص فكان روادها شعراء وفي الوقت نفسه نقادا، فانكسى الأدب حلة جديدة.

ب)الرابطة القلمية: وهي "من أهم الجمعيات الأدبية التي أسسها الكتاب والشعراء في نيويورك علم 1920م وقد شكلتها جماعة من الأدباء كانوا يؤمنون جميعا بضرورة التعبير

[1] سلمى خضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر:عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001، ط1، ص210.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس الشعر الحديث، ص109.

[3] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص74.

[4] محمد مصايف: جماعة الديوان في النقد، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م، د.ط، ص48.

وإدخال وسائل ومواقف جديدة على الشعر العربي، كان في المجموعة ستة شعراء هم: جبران خليل جبران، ميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة (ت1946م)، رشيد أيوب (1871-1941م)، ندرة حداد (1881-1950م)، وإيليا أبو ماضي (1889-1957م) حيث اتخذوا جبران رئيسا لهم"[1] وكان جبران على حد تعبير إحسان عباس "رومانتيكيا حتى أطراف أصابعه وصوره تكاد لا تفترق في شيء عن شعراء الرومانتيكية بفرنسا وإنجلترا، وقد مجدت هذه المدرسة العودة إلى الطبيعة، وألهمت النعمة وامتلأت بالحنين الطاغي والكآبة والألم، وبالنفور من حياة المدينة وبالثورة على التقاليد والشرائع وقد سنت شريعة الحب، واتخذت القلب إماما هاديا وغمرتها الرموز الصوفية، وثارت على الشكل واهتمت بالمضمون وحطمت القالب اللغوي الصلب، ولجأت إلى التحليل، وتعلقت بما كتبه جبران بخيال لا يقر على هذه الأرض إلا ليجتمع فيطير إلى آفاق أعلى، وقد كثر تلامذة هذه المدرسة "[2].

1-الخصائص الفنية للرابطة القلمية:

-توظيف الرمز.

-الإكثار من استخدام الشكل القصصي.

-التنويع في القافية، التجديد في الوزن، وإتباع نظام المقطوعات والميل إلى الشعر المرسل.

-الخروج عن قواعد اللغة أحيانا.

-الإحساس بالغربة، والحنين إلى الوطن.

-النزعة الإنسانية والنزعة الروحية.

-الوحدة العضوية.[3]

[1] سلمى خضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص167.

[2] مصطفى هدارة:دراسات في الأدب العربي الحديث، ص161.

[3] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص75.

ج) جماعة أبولو: وهي كذلك من بين التجمعات التي مثلت الرومانسية العربية، "نشأت هذا الجماعة في شهر سبتمبر عام 1932م وكان صاحب فكرتها الشاعر المنطلق الموهوب الطبيب (أحمد زكي أبو شادي) وقد أخرج لها مجلة خاصة كانت تحمل نفس الاسم (أبولو)، وكانت المجلة لهذا الجيل من الشعراء أشبه بالمنبر العام يتبارون عليه على الرغم مما بينهم من اختلاف في النزعات والمشارب والاتجاهات الفنية"[1] وحملت اسم (أبولو) "نسبة إلى رب الشعر عند اليونان، وقد ترأس هذه الجماعة (أحمد شوقي) (1868-1932م) ثم خلفه بعد وفاته الشاعر (خليل مطران) (1872-1949م)، وضمت هذه المدرسة مجموعة من الشعراء من أماكن مختلفة ومنهم: (إبراهيم ناجي، علي محمود طه، أبو القاسم الشابي، محمد أبو الوفا، حسن الصيوفي)"[2].

وقد "دعا أبو شادي إلى الأصالة والفطرة الشعرية والعاطفة الصادقة، إلى الوحدة التعبيرية والتناول الفني السليم للفكرة والمعنى والموضوع، ودعم وحدة القصيدة، وامتاز شعره بجدة معاني، والانسجام الموسيقي، والتحرر البياني، وبالخيال الغريب، وبالتأمل الصوفي، والتعمق الفكري، والنفسي والفلسفي، وبجوانب شعره الإنساني، وبشعره القصصي والتمثيلي وبشعره في الطبيعة."[3]

تأثر أصحاب هذه الجماعة بكثير من آراء الرومانتيكية الغربية نذكر تمثيلا لا حصرا قصيدة (المساء) لـ"خليلي مطران" وفيها يبدو الشاعر متأثرا ببعض الشعراء الغربيين مثل: شيلي، وبيرون ...إلخ، التي يقول فيها:

يا للغروب وما به من عبرة *** للمستهام وعبرة للرائي
منفرد بصبابتي منفرد *** بكآبتي منفرد بغنائي
شاك على البحر اضطراب خواطري *** فيجيبني برياحه الموجاء
ثاو على صخر أصم ولين لي *** قلبا كهذه الصخرة الصماء[4]

[1] حامد حنفي داود: تاريخ الأدب الحديث، تطوره، معالمه الكبرى، مدارسه، ص61.
[2] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص76.
[3] محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ص42.
[4] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص76.

ويقول "إبراهيم ناجي" في قصيدته "الأطلال":

يا فؤادي رحم الله الهوى *** كان صرحا من خيال فهوى

اسقني واشرب على أطلاله *** وارو مني طالما الدمع روى

كيف ذاك الحب أمسى خبرا *** وحديثا من أحاديث الجوى[1]

أ)خصائص جماعة أبولو الفنية:

-التعبير الصادق لمعايشة التجربة الشعرية.

-الهيام بالطبيعة، والامتزاج بها وتصويرها.

-التطلع إلى عالم الخيال، والمثل العليا، والهروب من الواقع.

-سيطرة الحزن والكآبة على أصحابها.

-التنويع في القافية، وإحلال نظام المقاطع.

-الإكثار من التصوير السيء للأشياء.[2]

لعبت هذه المدارس دورا فعالا داحل البلاد العربية، في إعطاء الشعر على وجه الخصوص وجها جديدا فأعادوا صياغة شروط الشعر مثل العقاد الذي يقول: "إن كان الشعر لا يرجع إلى مصدر أعمق من الحواس، فذلك شعر القشور والطلاء"[3] فالشعر الحقيقي هو ما كان نابعا من ذات الإنسان، وبهذا الشكل يكون قد دعا إلى تخليص الشعر من مسحته السطحية.

كما عاب "ميخائيل نعيمة" تشدد الأدباء والنقاد حول اللغة وقواعدها ورأى بأن "اللغة ما هي إلا مجرد رموز كغيرها من الرموز التي استخدمتها ولا تزال تستخدمها الإنسانية كوسيلة للإفصاح عما يختلج في النفس من فكر وإحساس وحسبها أن تستطيع أداء هذه الوظيفة"[4].

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] المرجع نفسه، ص77.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج1، ص41.

[4] محمد مندور: النقد والنقاد المعاصرون، ص33.

ولأنه من بين شعراء هذه المدارس من كان يعيش خارج وطنه فاتسم شعره بمسحة الحزن والكآبة، فاتخذوا الطبيعة ملجأ لهم "ومزجوا مشاعرهم بالصور الشعرية، وقابلوا بين الطبيعة وحالاتهم النفسية ورأوا في الأشياء أشخاصا تفكر وتأسى، وتشاركهم شعورهم"[1].

"فالرومانسية في الشعر العربي تمثلا واقعيا، وتشخيصا لأبعاد تلك المرحلة وتناقضاتها"[2]، استطاعت الرومانسية أن تجد لها مكانا داخل الوطن العربي وتنعكس في إنتاج الأدباء والنقاد.

ثالثا: خصائص الرومانسية

لقد تعددت خصائص الرومانسية ومن بينها:

1)الخيال والصورة عند الرومانسيين: "عنى كولردج بالخيال الشعري في كتابه (ترجمة أدبية-Biographia Lateraria) واعتده مقياسا لجودة الشعر وعنوانا لعظمته"[3]. "حيث يقسم الخيال إلى نوعين: خيال أولي: يسهل عملية الإدراك وخيال ثانوي هو: الاستخدام الاراحي لتلك القوة، ذلك الاستخدام الذي لا يمتنع من اللجوء إلى تناغم الأضداد، لأن الخيال الخلاق هو الذي يجعل ما في القصيدة من عناصر وأشياء متداخلا في بعض منصهرا وكأنه خلق جهيد لا صلة له بالأشياء التي تم تأليفها منها متفرقة، فقيمة القصيدة تتوقف إذا على ما تفصح عنه من خيال عظيم هو قيمة في ذاته باعتباره شكلا خاصا من الإدراك والتبصر"[4].

[1] سامي هشام: المدارس والأنواع الأدبية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1979م، د.ط، ص15.

[2] السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الديث، مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية، د.ب، د.ط، ص132.

[3] إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكات إلى التفكيك، ص38.

[4] المرجع نفسه الصفحة نفسها.

أما عند "وليم بليك" "فقد تجاوز نظرة أرسطو الذي ربطه بالحواس والعقل كما أنه يتفق مع "كولردج"، لأن الخيال بالنسبة له: قوة خالقة يستطاع بها تعمق الحقيقة"[1]، أما عند "وردزورت" "فوظيفة الخيال الخالق تعمق الطبيعة للوصول إلى الحقيقة"[2] أما شكري: فيقول عن الخيال "الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة وشرح عواطف النفس وحالاتها، والفكر وتقلباته والموضوعات الشعرية وتباينها، والبواعث الشعرية"[3]، فالخيال بالنسبة للرومانسيين "هو مجال الإبداع، وهو الذي يمنح العمل افني وحدته، وهو وسيلة إدراك الحقائق"[4]

ومن هذا الباب نجد أن الرومانسيين أعطوا أهمية للخيال في تصوير ما يختلج بذواتهم وأنه عن طريقه يمكننا الوصول إلى الحقيقة.

يقول "صلاح لبكي":

هفا الليل قومي نهزالمنى *** بأرجوحة من ضياء القمر
ونفلت أحلامنا الراقص *** ات على خفقات النجوم الغرى
فنسرح فوق فراش الغمام *** ونرح تحت غصون الشجر
وتحملها زفرات النسيم *** فيعلق بالصبح منها أثر[5]

2)العاطفة: لقد أعطى الرومانسيون أهمية للعاطفة ما جعل تعريفهم للشعر بأنه التعبير عن المشاعر و"وردزورت" يؤكد ذلك بقوله: "لقد قلت أن الشعر انسياب تلقائي للمشاعر القوية إنه يصدر عن العواطف التي تستعاد في حالة سكينة"[6].

إذا "العاطفة أو الذاتية ميزة عامة يرتكز عليها الشعر الرومانسي انطلقت من مفهوم الشعر نفسه كتعبير عن الذات"[7] "ولقد حاول الرومانسي أن ينتصر على عاهات الوجود

[1] محمود الربيعي: في نقد الشعر، ص94.
[2] المرجع نفسه الصفحة نفسها
[3] محمد مندور: النقد والنقاد المعاصرون، ص48.
[4] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص101.
[5] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص101.
[6] محمود الربيعي: في نقد الشعر، ص97.
[7] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص100.

بأساليب شتى أهمها الكآبة التي يدر ينبوعها من معين لا ينضب، والكآبة جعلته ينعبد الألم، الألم الحاد الألم الوئيد المتمهل، الألم الذي يفتح كوى النفس ويعلم الإنسان ويعرفه إلى حقيقته ويكشف له عالم الروح"[1].

فقصص الحب التي كان يعيشها الرومانسي تفشل في كثير من الأحيان، فتختلف في نفسه الألم، لا منجاة منه إلا التعبير عنه في قالب شعري، مثلما حدث لـ"دي لا مارتين" أحب امرأة وتوفيت، فشعر باليأس وتمنى الموت بصدق وهذا ما عبر عنه في ديوانه "تأملات"[2] "فالحب في تصورهم حب مقدور تنتهي مأساته بالموت، ويظل فيه المحبان يائسين على طهر وعفة"[3]، إن حساسية الرومانسي ورهافة مشاعره جعلته يبالغ في كثير من الأحيان في تصوير مشاكله وهمومه فطغت الذاتية على أعماله.

كما نجد "موسيه" يمجد الألم في إحدى قصائده، ويرى بأن الألم هو الذي يمنحنا العظمة فيقول:

أيا كان الهم الذي تعانيه في شبابك

دع هذا الجرح المقدس يتسع

وقد ابتلتك به الملائكة السوداء

وحفرته في قلبك

لا شيء يجعلنا كبارا كالألم

ولكن، لا تحسب أيها الشاعر

أن صوتك ينبغي أن يظل صامتا

فالأغاني الأشد يأسا هي

[1] إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة للنشر، بيروت، لبنان، 1983م، ط2، ص90-91.

[2] ينظر أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص278.

[3] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.ت، د.ط، ص204.

الأغاني الأمتع

وإني أعرف أغاني خالدة

وهي لا تعدو التأوهات الخالصة

فحين يعود البجع

وقد أنهكه السفر الطويل

وهو مبحر في ضباب السماء،

فإن صغاره تركض على الشاطئ

حين تراه من بعيد، يضرب بجناحيه

مياه البحر.[1]

3)الطبيعة: إن معاناة الشاعر الرومانسي جعلته "يشخص الطبيعة ويحادثها ويلجأ إليها وقت الأزمات"[2] ويبثها أحزانه وآلامه "فالشعر عند الرومانسيين تغريد طائر أو خرير ماء أو دوي رياح أو قصف رعد"[3] "لقد اتخذت في أشعارهم صورة الكائن الحي، وهي غامضة مثل غموض الآلهة، يقول: لا مارتين: في (الواديLe Vallon) "ولكن دوما هاهي الطبيعة تحبك وتدعوك، ألق بنفسك ودعها تغمرك بحنانها، فإذا وجدت أن كل شيء قد تغير بالنسبة لك، فاعلم أن الطبيعة ستظل كما هي، ونفس الشمس ستظل تشرق كل الأيام"[4].

[1] إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص91.

[2] نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية، ص158.

[3] حامد حفني داود: تاريخ الأدب الحديث، ص111.

[4] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص70.

"وجملة القول في التجربة الرومانسية على الطبيعة أنها حاولت أن تحييها وأن تنصت لهمسها، وأن تكشف أسرارها إلا أن نفس الرومانسي كانت طاغية عليها، لونتها بألوانها بين سعد ونكد وتفاؤل وتشاؤم وحيرة ويقين ومن خلال برقعها الظاهر أفاض الرومانسي بحنينه إلى طبيعة أخرى"[1] وهذا ما تجلى لدى شعراء "أبولو" لأنهم غالوا في حب الطبيعة فاندمجوا فيها يقول أبو شادي:

ورجعت الماء المعربد مستزيدا ما حكاه
ورجعت للزهر المبادل من يضاحكه أساه
وتركت كون الناس في يأس إلى كون سواه.[2]

ويقول إيليا أبو ماضي في قصيدة "المساء":

السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين
والشمس تبدو خلفها ** صفراء عاصبة الجبين
والبحر ساج صامت ** فيه خشوع الزاهدين.[3]

كانت الطبيعة بالنسبة للرومانسي المنهل الذي يستمد منه حاجته، فجعل كل ما فيها ينبض بالحياة فتسمع شكواه إذا اشتكى وتشاركه فرحه وسروره.

4)الوحدة العضوية: لقد اعتنى "كولردج" "بالوحدة العضوية للقصيدة ويرى القصيدة الجيدة بنية من الصعب إدخال أي تعديل عليها بالحذف أو الزيادة أو تغيير في الترتيب، وله في ذلك عبارة مشهورة يقول فيها: (أن نشرع حجرا من الأهرامات بيدنا المجردة أيسر من أن ننتزع كلمة من إحدى قصائد شكسبير الغنائية دون أن ينهار ربنائها الكلي ودون أن تتحول إلى قصيدة أخرى)"[4]، وكذلك بالنسبة "للعقاد" يقول: "فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم مقام جهاز من أجهزته ولا يغنى غنه غيره في موضعه إلا كما تغنى الأذن عن

[1] إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص178.
[2] محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس الشعر الحديث، ص179.
[3] عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص102.
[4] إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث، ص39.

العين"[1]، وبالتالي تصبح القصيدة عبارة عن وحدة متكاملة لا يمكن الفصل بين أجزائها، هذا ما اتفق عليه "العقاد"و"كولردج" وكذلك "شكري": "فالقصيدة عنده وحدة حية متنامية وليست أبياتا متراكمة."[2]

5)العبارة الرومانسية: هي "لفظة شعرية بطبيعة اختيارها لفظة مستمدة من التعامل اليومي مع الحياة ومع الانفعالات وقد اكتست من ذلك بالمراسلات والأحلام"[3]، "فالرومانسيون يحترمون قواعد الكتابة، وإن كان المضمون والأفكار أهم عندهم من الأسلوب"[4] "ففضل الرومانطقي المضمون الإنساني على التعابير الفخمة وكل همه أن يلامس وجدان القارئ لا عقله"[5]، وبما أن اللغة هي الأساس في هذا المقام نجد "شيللي" يرى: "بأن اللغة الموزونة هي لغة الشعر وبأن الترجمة قد تخل بالمعنى"[6] "ومهما يكن فإن الرومانسية كانت حركة أطلعت الإنسان على أصقاع في نفسه إلا أنه عجز غالبا من التعبير عنها، وهي التي أعادت الصلة المباشرة بين النفس والحياة"[7]، اجتمعت هذه الخصائص وأخرى في الأدب الرومانسي ليكون أدبا متميزا، أعاد الاعتبار للنفس البشرية بإعطائها فرصة للتعبير عما يختلج بها.

رابعا: الرواية الرومانسية

ظل المذهب الروماني في التغلغل في الأدب يشمل فنون مختلفة من الأدب، وكان للرواية نصيب من المذهب الرومانسي، وقبل التعرف على الرواية الرومانسية سنقف عند تعريف الرواية بصفة عامة: "هي رواية كلية شاملة موضوعية أو ذاتية تستعير معمارها من

[1] السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، ص135.
[2] إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث، ص48.
[3] إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، ص102.
[4] نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية، ص159.
[5] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، ص314.
[6] إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث، ص40.
[7] إيليا الحاوي: ص103-104.

بنية المجتمع، وتفسح مكانا لتتعايش فيه الأنواع والأساليب كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة"[1].

والتي من خصائصها:

1- الكلية والشمولية سواء في تناول الموضوعات أو في الناحية الشكلية.

2- قد تكون الرواية معبرة عن الفرد أو الجماعة أو عن الظواهر.

3- ترتبط الرواية بالمجتمع وتقديم معمارها على أساسه.

4- الرواية مثل المجتمع تتجاوز المتناقضات وتجتمع بين الأشكال الأدبية[2].

1)تعريف الرواية الرومانسية: هي الرواية التي تغلب عليها الطابع العاطفي سواء من حيث التغني بالوطنية بصورة مثالية مقدسة أو التي تهتم بالإنسان وعذابه على الأرض والتعبير عن مأساة عاطفية وقضايا الحب ومشاكله[3].

2)عوامل تطور الرواية الرومانسية: "تطور فن الرواية في القرن الثامن عشر وارتقى واغتنى بفضل عاملين: الأول تأثير القضية الانجليزية التي سبقت القصة الفرنسية إلى التطور ومن ثم أكتسبها الملاحظة الدقيقة لأحوال الطبقة الوسطى، ووصفها والاعتناء بالمشاعر العادية لأفراد البشر العاديين.

والثاني تأثير الانجامات الاجتماعية والفكرية المستجدة من حيث روح التفحص الموضوعي والمناقشة الحرة والالتفاف إلى معالجة المشكلات الأخلاقية والسياسية"[4].

ولقد راجت هذه الروايات في النصف الأول من القرن التاسع عشر بحيث: "يمكن أن تقسم النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى قسمين: الأول فترة الكتاب الأوائل، والثاني فترة القصة التاريخية".

---

[1] صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، الجزائر، د.ت، د.ط، ص5.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ينظر طة وادي: مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية، دار النشر للجامعات، مصر، 1997، ط2، ص59.

[4] عبد الرزاق الاصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص70.

أ) فترة الكتاب الرومانسي الأوائل (1800-1825): من المعلوم أن شاتو بيان ومدام دو ستايل كان أبرز ذهب الرومانسي تنظيرا أو تأليف فقد كتب الأول روايتي (أتالا، ورينيه) فيما بين (1801-1802م) وكانتا تنمهجا نهج رواية (بول وفرجيني) ليوناردن دو سان بير من حيث العناية بالوصف الطبيعي، ولكنهما جددتا في العناية بالوصف النفسي والتحليل العميق للعواطف والبواعث، أما دو ستايل فقد كتبت رواية "رلفين" (1802) "وكورين" (1807م) اللتين مهدت فيها السبيل لروايات الكاتبة الرومانسية "جورج صاند" ومن الكتاب الأوائل المشهورين بنجامانكرنستان المتوفى عام (1830م) الذي تحتل روايته مركزا مرموقا في الأدب الفرنسي ونذكر منها (أدولف 1816م) التي حلل فيها بنفوذ ذكي مدهش وبأسلوب طلق خال من التكلف قضية التلاشي البطيء للحب البائس، مما جعلها تبدو دوما جديدة وواقعية أكثر من أية رواية أخرى، بما في ذلك روايات ستندال.

ونذكر من الكتاب الأوائل شارل نوديه (المتوفى عام 1840م) الذي كان يتميز بروح فعالة نشيطة ومعالجات جذابة، وقد برع في عشرينات القرن التاسع عشر في القصة القصيرة التي تمازج بين الواقعية والغنائية، وبحق أحد مؤسس الرواية الرومانسية.

ب) فترة الرواية التاريخية (1826-1865م):ونعني بالتاريخية تلك التي تتخذ أبطالها من بين الأشخاص التارخيين وكذلك أحداثها الكبرى، مع الاحتفاظ بحرية الكاتب والتفصيل والتحليل أو تلك التي تبتكر شخصيات من الخيال ضمن فترة تاريخية معينة ومن كتاب هذه المرحلة:

ولتر سكوتWalter Scott: هو كاتب إنجليزي ألف في ما بين (1814-1826م) سلسلة من الروايات كثيرا من النجاح والإقبال الجماهيري لم تتميز به من الجدة والحيوية والتشابك والعقدة والحماسة العاطفية، بحيث تتبعث على المتابعة والتشويق والتسلية والإمتاع، وكان لرواياته هذه أثر كبير في ازدهار هذا الفن الروائي في أنحاء القارة الأوربية وكان يختار الإطار الطبيعي الجذاب لرواياته كالطبيعة الإيكوسية والإنجليزية والفرنسية ويحسن مؤالفة أشخاصه في ذلك الإطار على عنايته بالمغزى الأخلاقي، وعلى بديه اكتملت ملامح

الرواية الرومانسية ومثالنا على ذلك روايتاه (ويفرليوإيفانهو) وما زالت هذه الرواية ترتقي من عام (1840م) حين بدأت بالهبوط مع انتشار الاشتراكية العاطفية وظهور المسلسلات القصصية في الصحف اليومية[1].

والفرد دوفينيAlfred Dauphiné: أصدر عام (1826م) روايته (الخامس من مارس) وبسط في مقدمتها نظريته في الرواية التاريخية ويرى فيها أن للكاتب الروائي حف التصرف في الشعر إزاء الوقائع التاريخية، ولهذا رواياته تقوم على اختراع الشخصيات أكثر من قيامها على شخصيات تاريخية معروفة.

كتب في عام 1836م رواية (ستبلو أو العفاريت الزرق) التي يقور فيها الانقسام ما بين المجتمع والشاعر أو الأديب بصورة عامة، تستوي في ذلك جميع البنى السياسية والاجتماعية التي يعتني فيها الأديب، ثم كتب روايات أخرى كان من أنضجها عود الخيزران[2].

"أما عندما ننظر في مكتبة الرواية العربية ونتأمل في مضامين الروايات التي كتبت بعد المرحلة البدائية المقاماتية لمجاز هذا التعبير، وبخاصة في الروايات المؤلفة في المرحلة ما بين الحربين، نتوصل إلى أن الرؤية الرومانسية هي التي تسيطر على الرواية العربية وكانت الروايات الرومانسية في هذه المرحلة تسير في فصلين: الأول الرواية الاجتماعية التي تستلهم أحداثها من المجتمع الذي يعيش فيه الكاتب كما نجد في روايات هيكل، والمازني، وتوفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وطه حسين، وعباس العقاد، والآخر الرواية التاريخية التي تستوجب موضوعها من التاريخ كما نجد في أعمال جرجي زيان وفريد بوحديد، وعلي باكثير، وسعيد العريان، وعلى الجارم، ونجيب محفوظ، وعبد الحميد بودة السحار، وغيرهم"[3].

3)خصائص الرواية الرومانسية:

1) خلق من الفرد العادي بطلا للرواية.

2) الامتزاج بالطبيعة ووصف جمالها والهروب إليها.

---

[1] عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، ص70-71-72.

[2] محمد هادي مراجي، وآخرون: لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، شتاء 1931م، العدد السادس عشر، صص101-117، ص11-12.

[3] محمد عبد المنعم خفاجي: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج1، ص45.

3) طبيعة الشخصية في الرواية الرومانسية يغلب عليها الكبت والقلق.

4) الفشل المقدور على كل الشخصيات.

5) التشاؤم المرير الذي يرى الحياة مأساة كبيرة لا تنتهي إلا بالموت.

6) النعت بالألم.

7) إعطاء المال دور أساسا في حياة أبطال الرواية الرومانسية[1].

بالإضافة إلى توفر عنصر الخيال، إن الرواية الرومانسية كانت انطلاقتها في الغرب إلا أن هذا لم يمنع وجودها في الأدب العربي والذي اتخذ معنيين الأول رومانسي اجتماعي والثاني تاريخي، الأول كان يعالج قضية اجتماعية مثل علاقة المرأة بالرجل والتي من خلالها كان الأدباء يدعون للتحلي بالأخلاق، أما الثانية فكانت تستمد أبطالها من التاريخ.

[1] ينظر عبد القادر القط: في الأدب العربي الحديث، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، د.ط، ص من 172 إلى 176.

الفصل الثاني:

ملامح الرومانسية في رواية الفضيلة.

1- الطبيعة.

2- الخيال.

3- العاطفة.

أولا: الطبيعة.

تناول الأدباء الطبيعة ووجدت في أعمالهم الأدبية قبل ظهور الرومانسية، لكن حضور الطبيعة في الأدب الرومانسي كان بشكل خاص فأضفى كل منها إلى الآخر مسحة جمالية.

فخامة الرومانسيين هي التي أدت بهم إلى الهروب إلى الطبيعة "لأنهم ذاقوا ذرعا بالحزن والألم، فتركوا المدن، والتمسوا العراء والسلوى في الطبيعة التي تمثل في نظرهم العالم الذي لم تفسده المدينة والقوانين"[1] فقاموا بتطهيرها مما الحق بها الإغريق القدماء "لأنهم ملئوا الطبيعة بالكائنات الخرافية فقالوا: إن للغابات والأنهار والينابيع والمروج وما إليها، آلهة خالطوها وخالطنهم وخلعوا عليها مشاعر الإنسان"[2].

جاءت رواية الفضلة غنية بالطبيعة من بدايتها إلى نهايتها فوردت في حالات مختلفة فقام صاحب الرواية بوصف جمالها، وهرب إليها لأنه وجد فيها الراحة، ورأى صورة الله في الطبيعة، واتحد معها هو وشخصيات الرواية واعتبروا أنفسهم جزءا منها واختاروا الطبيعة لتحفظ ذكرياتهم[3].

1) وصف الطبيعة: شغل الوصف في حيزا كبيرا داخلا رواية بمختلف أنواعه فلم يقتصر على أماكن الحركة أو المظاهر الخارجية للشخصيات[4].

أو حالاتها النفسية والعنصر الذي تناولناه (وصف الطبيعة) يندرج تحت الوصف الطبوغرافي: (La topographie) ويقصد به وصف المكان ويتعلق على وجه الخصوص بوصف المواضع والمشاهد الطبيعية[5].

حيث وصف الراوي الطبيعة في كثير من الأحيان شأنه في ذلك شأن الرومانسيين الذين "يتأثرون بجمال الطبيعة، فيندمجون فيها ويذرفون الدموع وينحنون أمامها إجلالا وتعظيما

---

[1] فايز ترحيني: الدراما ومذاهب الأدب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ط1، ص180.

[2] محمد مندور: في الأدب والنقد، ص104.

[3] ينظر أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م، ط1، ص 143-146-166.

[4] ينظر عبد اللطيف محفوظ: وظيفة الوصف في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، ط1، ص72.

[5] مليكة بوجفجوف: بنية الوصف ووظائفه في ألف ليلة وليلة حكايتا "الحمال والثلاثينات" و"السندباد البحري"، مذكرة ماجستير، قسنطينة، الجزائر، 2008-2009، ص17.

لها، لهذا ترى أن وصف يحتل حيزا كبيرا في القصص الرومانسية"[1]، فبدأ وصفه للطبيعة من خلال إفراده لبعض العناوين مثل: "جزيرة موريس" "الطبيعة" "العاصفة"، ففي حديثه عن الأولى وصفها قائلا: "هي جزيرة قفراء بلقع ليس بها إلا قليل من السكان السود ..."[2]، هاته النظرة الأولى التي استطاع من خلالها وصف الجزيرة بهذا الشأن، وعن كل ما يصادف المقبل إلى الجزيرة "يرى المقبل إلى الجزيرة شرقي الجبل القائم خلف عاصمتها (بورلوبوس) واديا مستطيلا مسورا بسور طبيعي من الأكوام والصخور ... يرى الأرض المحيطة بهما مختلفة الألوان ما بين سوداء وخضراء وصفراء مختلفة السطوح"[3].

لقد وصف هذه المنطقة وصفا مفصلها من تنوع لون ترتبها وشكل أرضها ما جعله يحس بأن هناك دخل ليد الإنسان فوصف أوديتها وجبالها والطرق المؤدية إلى بعض المناطق الموجودة هناك يقول الراوي "ومما نسبها المندرجة المحفوظة بأشجار الخيزران وسط أفيح فسيح"[4] وكذلك خلجناها وبحرها.

اهتم صاحب النص كثيرا بوصف المكان الذي عاشت فيه شخصيات الرواية بشكل عام، لقد جعل من الوادي مقرا لهم فحث بعن أن أصبح خاليا إلا انه جعلنا نتجول في أرجائه وبالضبط في الجزء الذي كان فيه الكوخين يقول: "حتى وصل إلى مكان الكوخين انقطع على سمعه كل شيء، فلا يحس إلا صدى ضعيفا لحفيف سعف النخل"[5] ولقد تحدث عن الوادي على أنه مكان غير تلك الأماكن التي مر بها سواء خلال الهدوء الذي فيه أو من خلال المناظر الجملية فيه "ولا يرى بين يديه إلا هضابا شماء قد نبتت في سفوحها وعلى قممها وبين فروجها مجاميع الأشجار الباسقة تعابث أشعة الشمس أوراقها الخضراء المترعة وتكسوها بما شاءت من ضروب الألوان، ذهبيها وفضيها وأرجوانيها ونارياها"[6]إن وصفه لم يكن سطحيا جافا أو صور كيف أن هذه الأشياء منتشرة في هذا الوجود، بل وصفها على أن كل ما فيها ينبض بالحياة وتتفاعل فيما بينها، وممن بين المناظر التي وصفها قائلا: "كان

[1] فائق مصطفى، عبد الرضا علي: في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، مديرية دارا لكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق، 1989، ط1، ص69.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ط1، ص5

[3] المصدر نفسه، الصحة نفسها.

[4] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص6.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص7.

منظر الأصيل أبدع منظر رآه الرائي في جمال ألوانه، وانسجام ظلاله، ورقة أضوائه وتلهب أفقه، وذهاب العين بين أرضه وسمائه في أبهى من الحلة السيراء والروضة الغناء"[1]، افتتن صاحب النص بمنظر الأصيل فهو يعترف بأنه أبدع ما رأى في حياته.

إن من خلال هذا الوصف الذي جاء بالنص الروائي غنيا به يجعلنا نحس أن صاحب النص جعله موضوعان في حد ذاته فما مر على مكان إلا راح يهيم في جماله واصفا إياه بدقة فجعلنا نشاركه تنقله بين هذه الأماكن مستمتعا بترديده إليها يقول: "كان يلذ لي كثيرا أن أختلف إلى هذا المكان الجميل صباح مساء"[2].

عاش أبطال الرواية في الطبيعة فاستغلوا كل ما فيها، فاتخذوا لهم مساكن من جذوع الأشجار وزرعوا الأرض وعاشوا على ما يحبون منها، وتهادوا من الطبيعة، يتحدث صاحب النص في هذا الشأن عن أحد أبطال روايته قائلا: "فإن اعثر في طريقه بزهرة جميلة، أو فاكهة طيبة، أو طائر في عشه، أو حشرة في حفرتها، أو سمكة ملونة، أو محارة ظريفة، احتفظ بها في جيبه ليقدمها هدية (لفرجيني) حين يعود إليها"[3]، وإذا اجتمعوا يجتمعون على مائدة من الطبيعة "لتناول الطعام على مائدة من العشب الأخضر"[4]، فصارت نظرتهم إلى هذا المكان على أنه جنة وهبهم الله إياها "... في هذه الجنة الصغيرة التي نعيش فيها"[5].

وإن اختيار صاحب النص لهذا المكان كموقع لأحداث الرواية جعلها ثرية بوصف الطبيعة، فوصف الأماكن التي عاشوا فيها أو مروا بها أو جالوا فيها أو انفردوا فيها أحد منهم، حيث نجده يصف الغابة التي تاه في وسطها بطلا الرواية: "حتى إذ بلغنا غاية كثيفة قد أحاط بها من جميع أقطارها كثير من الأرواح الباسقة فدخلاها، وما إن أمعنا فيها إلا قليلا حتى احتجب عنها وجه الشمس وراء تلك الهضاب الشامخة، والأرواح العالية، والهضاب المشرفة والأشجار المتشابكة، والمسالك المتشابهة والأعماق المتغلغلة"[6]، لقد جعلنا نحس من خلال هذا الوصف بمدى الخوف الذي بعثه هذا المكان في نفسي التائهين داخل

---

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص22.

[4] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص24.

[5] المصدر نفسه، ص29.

[6] المصدر نفسه، ص36.

الغابة لذلك أظن أن هذا الوصف كان انطلاقا من فكرة البطلين تائهين فيه ولو انطلق من غير هذه الفكرة لكان الأمر مختلف جدا.

كثير هي المناظر التي وقف عندها يصفها منبهرا بجمالها حيث يقول "وأعجب ما كان يعجب الناظر في هذه الروضة الزاهرة منظر المياه المتدفقة من أعالي الجبال تنثر الخصب نحوها نثرا، وتدور بالربى والهضاب قائلا وعقودا، والخمائل والأشجار أوشحة مناطق، وتتلوى في سيرها وتدفعها تلوي الحياة المذعورة الهائمة على وجهان حتى إذ انتهت إلى السفح مشت برفق وهدوء تنبسط في مذاهبها ومناحيها، ثم تتلاقى أطرافهما فتكون بركا صغيرة مستديرة تحف الأعشاب المخضرة كما تحف بالعيون أهدابها، فإذا انعكست على تلك البرك زرقة السماء قيل إليك أنها المرايا الصافيات في أطرها، أو أحجار الفيروز في خواتمها"[1].

عبر صاحب النص في هذه الفترة عن سحر الطبيعة حيث اجتمع الماء والأشجار والأعشاب تشكل من خلالهم لوحة فنية غاية في الجمال فشبه الماء بالقلائد أثناء سكونه وإحاطته بالربى وخلال حركته بالأفاعي، أما برك الماء فتصبح عبارة عن مرايا إذا انعكس فيها لون السماء، أو بأحجار القبور التي تزين بها الخواتم إن هذا الجمال الذي أصبح عليه الوادي لم يكن عليه من قبل فجعل من شخصياته عاشقة للطبيعة التي تحيى فيها فعملت على تكييفها وإرسال الحياة بين أشجارها وأزهارها في شتى أنحاء وأنواع تربتها، فغرسوا الأشجار ونقلوا الماء بينها حيث يقول صاحب النص "وكان يعمد إلى الهضاب العالية ذات الجباه البارزة فيغرس بين يديها الأشجار العظيمة المورقة فتتلاقى ذؤابة الشجر بذؤابة الهضبة فتتكون منها قبة جوفاء تشرف على مجلس رطب ظليل، كانوا يفيئون إليه من حر الهاجرة فإذا هم في روضة يانعة من رياض الجنة تزخر أشجارها، وترى أطيارها، وتزف ظلالها وتتهادى من نسائمها"[2] فجعلنا نحس بقيمة الطبيعة وذلك من ظلال العمل عليها وبأنها معطاءة ولم تبخل عليهم.

لقد جعل صاحب الرواية المتعة الحقيقية في الاستمتاع بجمال الطبيعة حيث أن بطلة الرواية كان لها مكان تختلف إليه لا أجل شيء إلا الاستمتاع بمنظره الجميل يقول: "ولم يكن شيء من الأشياء أحب إلى فرجيني وأسمى إلى نفسها من أن تأوي في أوقات راحتها

[1] المصدر نفسه، ص45.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص45.

وفراغها إلى هذا المكان الجميل لتمتع نظرها بمرأى تلك المياه الثلجية البيضاء المتفجرة من ذلك النبع الغزير ومرأى تينك النخلتين البديعتين المتعانقتين على ضفته، ومنظر تلك المروج الخضراء المنبسطة من حوله، وكانوا لذلك يسمونه (مخدع فرجيني)"[1]، إن صاحب الرواية تعرض لوصف الطبيعة في كل حالاتها فوصفها أثناء مدؤها وأثناء ممر عاصفة بها، كما استطاع صاحب الرواية أن ينقل لنا صور هاته الأماكن الجميلة التي عاش فيها أبطال روايته أجمل أيام حياتهم وخلدت ذكرياتهم.

لقد كان للوقوف على الأطلال والتدبر في شأنها مكانا داخل الرواية الرومانسية فالرومانسيون "آثروا أيضا منظر الأطلال والآثار الدارسة وتنصتوا إليها لأنها تثير في نفوسهم ذكرى الأحبة"[2].

إن صاحب النص وقف على أطلال هؤلاء القوم وجعل بعض شخصيات روايته تقف على أطلال أحبتها، فوصف ما وقع نظره عليه قائلا: "قد تراءت في وسطه أطلال كوخين دارسين لم يبق منهما إلا أنصاف جدرانهما"[3] فشغله منظرهما وأثار فضوله يقول صاحب النص: "وأفكر في شأن هذين الكوخين الدارسين وفيها تنطق به آياتهما من العظات والعبر، وآثارهما من الأحاديث والسير"[4] إنه ينظر إليهما محاولا استنقاطهما فشبههما بالكتاب الذي يحمل بين طياته قصصا يستلهم منها دروسا وعبر، إن فضوله لم يتوقف عند هذا الحد بالاكتفاء بالنظر إليهما، لأن الفرصة قد أتيحت أمامه لبحر من يحدثه عن سيرة هذين الكوخين، وهو شيخ يقطن بهذه الجزيرة قريبا منهم، فلم يتردد في الاستفسار عن شانهما يقول: "قلت: هل ل كان تحدثني قليلا عن شأن هذين الكوخين الدرسين"[5]، فكان أن أثار بسؤاله حزن هذا الشيخ المسكين الذي شهد على ميلاد هذين الكوخين ورآهما في وسط روضة غناء وهاهو يراهما عبارة عن خراب يقول الشيخ: "إن هذا الوادي الذي نراه اليوم بابا

[1] المصدر نفسه، ص50.

[2] فايز ترحيني: الدراما ومذاهب الأدب، ص180.

[3] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص5.

[4] المصدر نفسه، ص7.

[5] المصدر نفسه، ص8.

لا يمر به المار إلا ليقف على ربوعه وأطلاله وقفة المتأمل المعتبر، كان منذ عشرين عاما روضة غناء يعيش فيها أقوام سعداء بأخلاقهم وفضائلهم"[1].

ولا عجب أن تستشير هذه الأطلال فضول المارين من هنا لأنه على حسب ما تحدث به الشيخ أن كان هذا الوادي مسرحا لأحداث مؤثرة تثيرا الأحزان وكأن هذه الأطلال أبت أن تزول تقديرا لهؤلاء القوم يقول الشيخ: "إن قصتهم غريبة تستثير الأشجان وتستنزف الدموع"[2].

لم يكن الكوخان وحدهما يجملان ذكرى هؤلاء القوم بل أماكن كثيرة فأطلقوا عليها أسماءا تبعا للأحداث التي وقعت فيها، فأطلقوا اسم "اكتشاف الصداقة" على إحدى الصخور يقول الشيخ: "وكانوا يسمون هذه الصخرة (اكتشاف الصداقة) لأن (بول) غرس في قمتها شجرة الأثل، ورفع في أعلاها منديلا أبضا يشبه العلم، وخاطه بخيوط مختلفة تسترسل في أسفل الشجرة، فإذا المحني مقبلا على البعد شد الخيط فانتشر المنديل واضطرب في الهواء، وكان ذلك إعلانا للأسرة بقدومي"[3] فعلا لقد كان صديقا مميزا للعائلة لأنه ساعدهم وسهل أمامهم الكثير من السبل للعيش مع بعضهم في أمان.

فما من حدث أو مكان إلا أرخت له شخصيات الرواية بطريقتهما الخاتمة يقول الراوي: "فكان يخيل إلى أنهم يلقون عليها أشعة أرواحهم النورانية السامية فتدب فيها حياة جديدة فوق حياتها الأولى"[4]، إن صاحب النص شبه القوم الذين عاشوا في هذا المكان بالملائكة وأن إعطائهم لهذه الأماكن أسماء ينشر فيها حياة جديدة، كما "أطلقوا اسم (ميدان الاتفاق) على بساط من عشب الأخضر مسور ببعض شجيرات متسقات من أشجار البرتقال"[5] حيث كان (بول وفيرجيني) يرقصان عليه تحت ضوء القمر، وكذلك "اسم الدموع الممسوحة على شجرة عتيقة"[6] التي كان فيها أول لقاء بين "هيلين" و"مرغريت" فحكت كل منهما قصتها للأخرى وبالفعل مسحت كل منهما دموع الأخرى وهما اللتان فارقتا وطنيهما، ما كان يثير في نفسيتهما كثيرا من الحزن فأطلقت هيلين على "حقل من القمح باسم نورماندي"[7] مسقط رأسها

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص8.

[3] المصدر نفسه، ص46.

[4] المصدر نفسه، ص47.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[7] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ومرغريت على حقل من "الأرز بريتائيا مسقط رأس مرغريت"[1] ليخففا عن شوقهما وحزنهما على وطنيهما وحس الاشتياق والحنين إلى الوطن لم يقتصر على هاتين المرأتين فحتى خادميهما الزنجيين (ماري ودومنيج) أطلقا "اسم أنغولا وفول بودانت على بعض حقول الدخن ومنابت القرع"[2]، لقد أخذ هذا الحس في نفس الشيخ مكانا كبيرا ورأى هذا الأمر دلالة على الوفاء والإخلاص، ويعترف بأنه يفضل منظر الآثار القديمة في أي منظر جميل ويقف له إجلالا وتقديرا كما يرى فيه شيئا من أصحابه ويقول أن في أثناء المرور بها "وكأني أسمع في صغير رياحه وخريف جنه وفيلاته صائحا يصبح بي: لقد كان يعيش في هذا المكان عالم مثل عالمكم..."[3] فهم وإن رحلوا عن الدنيا بأجسادهم فإن أرواحهم لا تزال تحفظها هذه الآثار وتثبت أن قد عاشوا هنا أو مروا، كما اعتبر أن أبنائهم وأحفادهم جزء من آثارهم "وما أنتم يا أبنائهم وأحفادهم وحملة أسرار حياتهم إلا أرواحهم وآثارهم التي بقيت على الأرض من بعدهم"[4] ما جعله شعر يعتقد انه ينتقل من الحاضر إلى الماضي ويحاور آباءه وأجداده من خلال هاته الآثار وبأن النفس البشرية خالدة، فكان في كثير من الأحيان يحذو حذوهم فيتنفس في بعض الأماكن وجذوع الجر بعض العبارات لكي يمد الأجيال القادمة بذكرى مروره من هنا يقول: "فحفرت على ساق شجرة العلم كلمة (هوراس) اللاتيني: وقال الله شر العاصفة أولا عبث بك إلا أبدى النسيم"[5] وكان قد كتب غير هذه العبارة في أمكان أخرى وخصص عنوانا لأحد الأماكن التي كانت تختلف إليه فرجيني وأطلقوا عليه اسم "مخدع فرجيني" فوصفه بأنه مكان في غاية الروعة وهو عبارة عن "كهف صغير منحوت في أصل الصخرة الكبرى"[6] حيث كان فيه نبع من الماء ونخلتان متجاورتان سميتا باسم بول وفرجيني فكانت تحيط به الأشجار والأزهار مختلفة الأحجام والألوان.

وبعد سفر فرجيني أصبح بول وحيدا ما خلف فراغا كبيرا في نفسه ما جعله "يجمع آثار (فرجيني) من جميع أماكنها ومظانها، فجمع طاقة من الزهر قد أهداها إياها قبل سفرها بيوم

---

[1] مصطفى المنفلوطي: الفضيلة، ص47.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه ، ص48.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6] مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة، ص49.

واحد، وعصابة حمراء كانت تتعصب بما في أيام الأعياد، وكأس الشاي التي كانت تشرب بها، وزجاجة العطر التي كانت تحفظها في صندوقها، ومشط الأبنوس الذي كانت تمشط به غدائرها، وأمثال ذلك من الأدوات والآنية ووضعها في مكان واحد وسماه (متحف فرجيني) فكان يخالف إليها من حين إلى حين ليلثمها ويقبلها ويضمها إلى صده كأنما هو يضم صاحبتها"[1]، وهذا يبين مدى الإخلاص والوفاء الذي تحمله هذه النفوس الكبيرة التي أبت أن تتخلى عن الأشياء التي تذكرها بالأحبة.

وأطلقت شخصيات الرواية أيضا اسم "صخرة الوداع" على الصخرة التي كان فيها آخر لقاء بين بول وفرجيني، فنقشوا عليها كلمة "صخرة الوداع" بطلب من فرجيني، لقد زاد تعلق بول بذكرياته مع فرجيني بعد أن فارقت الحياة فزار كل مكان له شأن فيه وإياها كالطرق التي سار فيها معا والغابة التي ضلا فيها معا وغيرهما من الأماكن، كالملعب والشجرة التي وقفا عندها يصليان والهضبة التي كانت تنتظره فيها أثناء عودته من المزرعة وشاطئ البحر حيث كان مسرحهم.

إنه حتى بعد خلاء المكان من هؤلاء القوم الذين عاشوا فيه إلا أن سكان تلك الجزيرة خلدوا ذكراهم بإطلاق بعض الأسماء على أماكن عدة يقول صاحب النص: "قسموا الرأس الذي عجزت السفينة عن اجتيازه فكان في ذلك هلاكها (الرأس البائس)، والخليج الذي وجدت جثة (فرجيني) على شاطئه دفينة في الرمل (خليج القبر)، والمضيق الذي غرقت فيه السفينة (مضيق سان جيران) وسموا مخدع فرجيني التي كانت تخلو فيه بنفسها (كهف الفتاة)، وشجرة الخيزران التي ظلت قبرهم جميعا (الشجرة المقدسة)، والوادي الذي عاشوا فيه (الوادي السعيد)"[2]، شغل الوقوف على الأطلال حيزا واضحا داخل الرواية فقد اهتم المؤلف بوصفها حينما حلوا فيها جالسين ومستمتعين بين صخورها وأشجارها وأزهارها وينابيع مياهها وعلى شاطئ بحرها.

2) الهروب إلى الطبيعة: هرب الرومانسيون إلى الطبيعة وفضلوا العزلة والهدوء الموجودين فيها على ضوضاء المدينة فوجدوا فيها الراحة "فهم يهربون من زحام الحياة

[1] المصدر نفسه، ص90.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي، الفصيلة، ص134.

وأعبائها، وآثام العلاقات الاجتماعية إلى الصفاء والتقاء بين أحضان الطبيعة فيبقون مع أنفسهم يتفكرون، ويتأملون ويجدون العزاء من ألامهم في صفوا الطبيعة"[1].

توفر عنصر الهروب إلى الطبيعة داخل النص الروائي فورد كاعتراف من الروائي في البداية الذي كان يستمتع بهاته الطبيعة حيث يقول: "... وأن أستريح إلى منظره الهادئ الساكن"[2].

إن صاحب النص وجد الراحة بين أحضان هذه الطبيعة الهادئة لأن هذا الهدوء يلمس ذاته وينتقل إليها، إن صاحب النص لجأ إلى هذه المنطقة بحثا عن السعادة التي افتقدها في المدينة حيث يقول: "فما أنا إلا رجل بائس مسكين قد أخطأته السعادة حين طلبها من المدن والحواضر بين الدور والقصور، لعله يجد ما في الفقر الموحش بين الهضاب والصخور"[3] إن الهروب إلى الطبيعة والإنفراد بها لم يقتصر على الراوي وحده لقد جعل بعض شخصيات الرواية تشاركه متعة الإنفراد في الطبيعة "فهلين" فرت من الناس واختارت العيش في مكان لا يصل إليها أحد فيه حيث يقول صاحب النص: "ولكنها كانت تريد العزلة والانفراد والفرار بنفسها عن أبصار الناس وأسماعهم ... حتى وصلت إلى هذا المكان الذي نحن فيه فأعجبها منظره الهادئ المنفرد"[4] فاتخذت من هذا المكان البعيد عن الناس وطنا غير وطنها وأهلا من قاطنيه غير أهلها فأحست بالأمان والاطمئنان وتسلل الهدوء لنفسها، ولم تكن هذا الأخيرة وحدها في هذه الجزيرة بل كان يوجد فيها شيخ وامرأة أخرى تدعى مرغريت، وابنة لهيلين تدعى فيرجيني، وبول ابن مرغريت وخادميها، فمرغريت أيضا فرت إلى هذه الجزيرة لتواري سوأتها لأنها تعلم أن الطبيعة هي الأم الحنون التي يمكن أن تبثها آلامها، ولا تجد فيها أي وجه من الوجوه التي تذكرها بمأساتها وبأنها المكان الوحيد الذي يمكن لما أن تكفر فيه عن خطيئتها وتقبل توبتها فيه.

لقد كانت تمثل المدينة بالنسبة لشخصيات الرواية منبعا للمفاسد ما جعل مرغريت وهيلين تشعران بالسعادة كون أن ولديهما حضيا بهذا المكان الطاهر يقول صاحب النص: "وكانتا

---

[1] أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، 2001، ط1، ص146.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة، ص7.

[3] المصدر نفسه، ص9.

[4] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص11.

تقولان إنهما سيقضيان حياتهما بعيدين عن مفاسد المدينة وشرورها وتقاليدها العمياء، وأوهامها الباطلة، فلا ينالهما أذا ما شيء"[1] وقد تشكلت لديهما النظرة عن المدينة من جراء ما لحق بهما من أذى فهما يريان بأن تقاليدها ليست لها أي أساس من الصحة.

لقد كان "بول وفرجيني" يشعران بسعادة غامرة حين يختلفان إلى مخدع "فرجيني" ويستمتعان بمنظره الجميل المنعزل الهادئ بقول صاحب النص "وكان بول يختلف إلى هذا المكان من حين إلى حين كلما أمكنته الفرصة فيجلس إلى (فرجيني) جلسة هانئة سعيدة يغتبطان فيما بتلك العزلة الهادئة الساكنة وذلك المنظر الساحر البديع"[2] إن صاحب النص يحدثنا عن السعادة التي استطاعت أن تتسرب إلى هذين القلبين في هذا المكان البسيط ولربما كانا ليحضيا بها بين تلك الأبنية الفخمة المهيئة خصوصا لمثل هذه اللقاءات.

كان لصاحب النص نظرة تأملية حول الطبيعة وهذا بدى من خلال تخصيص عنوان لما وهو "الطبيعة" الذي كان الحديث فيها للشيخ حيث رأى بأن سعادة المرء تكمن في شيئين أحدهما أن يهجر الإنسان العالم كله وينفرد بنفسه يقول: "فسعادته أن تهجر العالم كله إلى معتزل يتمتع فيه بجوار نفسه وعشيرتها"[3].

هناك بعض الأشياء إذا منها الإنسان تصبح العزلة والإنفراد بالنفس وبقاء الفرد مع ذاته غاية السعادة التي يمكن أن يبلغها المرء في ذلك وبأن الطبيعة هي الطبيعة هي المكان الوحيد الذي يمكن أن يلجأ إليه الإنسان خصوصا إذا اتبعته الحياة وبالمقابل كانت نظرته للمدينة على أنها مصدر شفاء الإنسان "فإن للمدينة شقاء كشقاء الهمجية، لا يختلف عنه إلا في لونه وصبغته"[4] فصاحب النص يرى بأن حياة المرء بين معتركات الحياة ليس بالشيء السهل لأنها تحول دون راحته النفسية التي لا يمكن أن يجدها إلا بالجلوس تحت ضلال الأشجار وفوق الصخور، والشيخ هو من بين الذين وجدوا سعادتهم بين الأشجار وعلى ضفاف الأنهار وبما أنه استطاع أن يحض بهاته السعادة أصبح يدعوا من حوله إلى "حياة الطبيعة والفطرة"[5] التي وجد فيها مبتغاه بعدما أتبعته الحياة بين أرجاء المدينة وجلها وتهافت

[1] المصدر نفسه، ص21.

[2] المصدر نفسه، ص50.

[3] مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة، ص100.

[4] المصدر نفسه، ص101.

[5] المصدر نفسه، ص102.

الناس في السعي وراء مطالب الحياة وعدم رضاهم بما لديهم بين أيديهم فقد دعى صاحب النص على لسان الشيخ إلى الحياة البسيطة بين أكناف الطبيعة وبهذا نجد صاحب النص يتفق مع "جون جاك روسو الملقب بعاشق الطبيعة التي دعى إلى التخلي عن الحياة المدنية والعودة إلى أحضان الطبيعة حيث البساطة والخير والمساواة والنقاء"[1] ولقد كان لهؤلاء الناس مبتغاهم بين أحضان هذه الجزيرة من السعادة لولا هبوب ريح من المدينة ليغير مجرى حياتهم.

3) الإتحاد مع الطبيعة: اعتبر الرومانسيون أنفسهم جزءا من الطبيعة فاتحدوا معها واندمجوا فيها وصاحب النص م بينهم، فوحد في بعض الأحيان بين الطبيعة وشخصيات الرواية يقول الشيخ متحدثا عن هيلين: "وسكنت نفسها إليه سيكون الطائر الغريب إلى العش المهجور"[2] بدت له هذه المرأة كالطائر الغريب عن المكان يأوي إلى عش مهجور وليتخذ مقاما.

عاشت شخصيات الرواية في هذا الوادي فصارت جزءا منه ما جعل صاحب النص يقول عن المرأتين للتين كانتا تعيشان فيه إذ خرجتا إلى المدينة تذكرتا آلامهما ولكن بمجرد أن تشرفا على الوادي "شعرتا بنسيم الحرية العليل يهب عليهما ويمازج أنفاسهما، نسيتا في هذا المعتزل المنفرد كل ما لحقتهما وألم بنفسيهما من خشونة الناس وقساوتهم وفضولهم وكبريائهم، وكأنما قد نبتتا في هذه البقعة بين نخيلها وأشجارها ولم تريا طول حياتهما بقعة سواها"[3] فعلا أصبحتا جزءا من هذا المكان بحث لا تستطيعان أن تشعران بالراحة في مكان سواه، أما ولديهما فقد وصفهما بأنهما "كالصنوين الباقيين من شجرتين قد عصفت الريح بهما وبأغصانهما إذا لقح أحدهما بالآخر أوراقا وأثمرا بأبهى وأجمل مما لو بقي كل منهما في مكانه"[4] فهو يصف حال انفصالهما عن أبويهما بحال ما بقي من الأشجار التي هبت عليهما العاصفة فبقي منها ما بإمكانه أن يلقح ببعضه ويعود إلى الحياة بالضبط كاجتماع

[1] فائق مصطفى وعبد الرضا علي: في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، نشر مديرية دار الكتب للطباعة، الموصل ،العراق، 1989، ط1، ص69.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص11.

[3] المصدر نفسه، ص19.

[4] المصدر نفسه، ص20.

بول وفرجيني معا، فكانا "ينموان في جوهما نمو النبات المحيط بهما"[1] إنه يتحدث عن هذين الولدين وكأنهما إحدى نباتات هذا المكان فجمعهما بالحديث مبينا بأنهما جزء من هذا المكان ويتأثران بما تأثر به نباتات المنطقة، وكما أن الطبيعة فتحت ذراعيها لاحتضان هؤلاء الأفراد فهم أيضا عطفوا عليها واعتنوا بمخلوقاتها كما فعلت فرجيني مع الطيور يقول صاحب النص: "فأنست بها فرجيني أنسا عظيم وعطفت عليها عطف الأم الرؤوم على صغارها، فكانت تطعمهما وتسقيهما وتحمل لها في حجرها حبوب القمح الذرة فنثرها بين يديها"[2] واستعانوا بالطبيعة لمعرفة الوقت وتحديد المواعيد "فإذا سئلت فرجيني عن عمرها أجابت: قد أثمرت الكروم منذ ولدت أربع عشر مرة، ... وإذا سئل (بول) بكم يكبر (فرجيني) أجاب بمقدار ما بين النخلتين المائلتين على حافة النبع، كأن حياتهما متصلة بحياة النبات، أو كأنهما إلهان من آلهة الحقول التي تعيش بينها وترعاها"[3] اندمجا في الطبيعة وعطف كل منهما على الآخر، فوصف صاحب النص بول وفرجيني وكأنهما إلهان للطبيعة يعيشان بين نباتها ويقدم كل منهما الرعاية إلى الآخر فكان إذا انتظر أحدهما إلى الآخر فلا يراه إلا عنصرا من عناصر الطبيعة ففي أثناء حديث بول إلى فرجيني واصفا إياها قائلا: "... فيخيل إلى أنك وردة من بين الورود الثابتة حولك إلا أنك أنضر منها حسنا"[4] فما استطاع أن يميزها بين الورود إلا لحسنها وجمالها، لأنهم حلوا فيها وحلت فيهم، وقال أيضا معا ولا إقناعها بالتراجع عن السفر بأن أمها ستفتقدها "... أو تصغي إلى أصوات الطبيعة المترنمة وصوتك لا يجلجل بينها ولا تنبعث رنته من بين رناتها"[5] لقد أصبح صوت فرجيني من بين أصوات الطبيعة فغيابها سيحدث الفرق بلا شك.

وتحدثت فرجيني عن نفسها بعد سفرها "أنني تعيش كما تعيش النبتة الغريبة في أرض غير أرضها"[6] إن صاحب النص يبين لنا مدى تعلق فرجيني بموظفيها وعدم قدرتها على

[1] المصدر نفسه، ص30.

[2] المصدر نفسه، ص51.

[3] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص59.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المصدر نفسه، ص81.

[6] المصدر نفسه، ص97.

العين والتأقلم في هذا الجو الجديد فشبهت حالتها بالنبتة التي زرعت في أرض غير أرضها فلم تستطع النمو.

حصلت أحداث كثيرة فكان لهذه الأسرة أن تفقد ابنتها "فرجيني" وجاء في النص "وما هي إلا لحظات حتى انحدر إلى مغربة ذلك الكوكب الفخم الذي خفق في سماء العالم لحظة ثم اختفى"[1] وكأنه أراد أن يقول ليس هم الذين فقدوها فقط، بل الطبيعة فقدت إحدى كواكبها، وأعطاها صفة الكوكب العظيم إكبارا لها وجعلنا نشارك أبطال القصة ألم فقدانها، وبأنها شيء بارز ورحيلها عن العالم عن العالم ليس بالشيء اليسير.

أصر الشيخ كثيرا في الدعوة إلى الحياة الطبيعية قائلا: "عودوا إلى أحضان أمكم الطبيعة فهي أحن عليكم"[2] فهو يمثلها بالأم الحنون التي يستطيع المرء أن يحيا بجانبها بسلام والتي بإمكانها احتواء الفرد وهمومه، ووصف الأسرة الكريمة بعد أن فقدها أنها كانت "الروضة الأنف التي أقطفت ما أشاء من أزهارها ورياحينها وألجأ إلى ما أحب من ظلالها وأفياءها"[3] لم يستطع هذا الشيخ إعطائه صورة أجمل من هذه لأن في نظره أن السعادة الحقيقية هي أن يحيا بين الأزهار فاعتبرهم مثل الروضة التي كان يأنس بها إلا أنه اليوم فقدها، يقول الراوي: "وانصرف عني يمشي مشية الطائر المذبوح يجر شلوه جرا"[4] هذه الحالة التي أصبح عليها الشيخ بعد أن فقد من وصفهم بأهله فأصبح عاجزا ألا يستطيع حتى على السير.

4) الله والطبيعة: مزج الرومانسيون بين الله والطبيعة ورأوا فيها صورة الله "فاظفوا على المناظر الطبيعية مظاهر إلهية، فيتحول حبهم إلى عبادة"[5].

وحد صاحب النص بين الله والطبيعة فجعل شخصيات الرواية في مكان بعيد عن المدينة وفوضاها ولم يكونوا ممن يختلفون إلى الكنيسة، إلا أن هذا لم يكن حائلا دون صلاتهم لأنهم اتخذوا من الطبيعة معبدا لهم لأداء الصلاة في كل وقت يقول صاحب النص عن بول وفرجيني: "لأنها وإن لم يذهبا إلى الكنيسة إلا قليل فقد كان يصليان في كل أرض وفي كل

---

[1] المصدر نفسه، ص125.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص103.

[3] المصدر نفسه، ص136.

[4] المصدر نفسه، ص138.

[5] أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر الحديث، ص166.

جو: في البيت والمزرعة، والقمة الرابية والسهل والجبل"[1] لأن المكان ليس بالنسبة لهم شرطا لأداء العبادة وبأن الطبيعة كلها عبارة عن معبد يمكن التوجه إلى الله، كما رأوا أن الصورة الحقيقية للحياة التي خلقها الله لا تتجلى في شيء بالقدر الذي تتجلى في الطبيعة فـ: "كتاب الطبيعة هو الكتاب لمشرق المنير الذي لا يقبل تؤيلا، ولا يحتاج إلى تفسير، والذي يرى فيه قارئه الحياة كما خلقها الله، فلا حاجة إلى من يدله عليه أو يرشده إليه"[2].

إن هؤلاء الناس كانوا يعشون في هذا الوادي راضين بحياتهم البسيطة مؤمنين بوجود الله وهم الذين أدركوا بأن الفضاء الذي بين أيديهم أكبر دليل على ذلك، يقول: "وهل القدرة الربانية إلا تلك الجنة الأرضية الزاهرة التي اختلفت أوضاعها وأشكالها وطعومها وروائحها"[3].

فتجلت رحمة الله لهم من خلال ما منحتهم هذه الأرض وقدرته في أن وهبهم جنة في الأرض، فرغم أن هذه الأرض لا تصلح لشيء إلا أن الله غمرهم بلطفه ورعايته فاستطاعوا أن يزرعوها وتعود عليهم بثمار مختلفة الألوان والأشكال.

لقد آمنوا بالحياة الطبيعية وأصبح من الواجب الاستجابة لما تفرضه هذه الحياة والخضوع لها، كإيمانهم وهذا ما حدثت به "مرغريت" "ملين" عن أمر زواج بول بفرجيني قد حان تقول: "وعندي أنه متى تكلمت الطبيعة وجب الإصغاء إليها والإذعان لها، وما شقي الناس هذا الشقاء الذي نراهم يعالجونه كل يوم إلا لأنهم تمردوا على الطبيعة وخلعوا طاعتها وسولت لهم نفوسهم السير في طريق غير طريقها"[4] فهي تطلب من صاحبتها القبول والرضا بما تطلبه الطبيعة لأن شقاء البشرية في نظرها كان سببه التمرد عليها وكأنها تعتبر بأن الطبيعة إله يجب طاعته، لأن ما حدث لها ولصديقتها سببه أنهما "أساءتا إلى نفسيهما بطموح إحداهما إلى منزلة في الحياة فوق منزلتها ونزول الأخرى فيها إلى مقام دون مقامها فعاقبتهما الطبيعة"[5] بشقائها في حياتهما.

---

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص23.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة، ص43.

[3] المصدر نفسه، ص53.

[4] المصدر نفسه، ص69.

[5] المصدر نفسه، ص20.

وجمع الشيخ في بعض من حديثه بين الطبيعة والله فقال متحدثا عن الناس الذين اتخذوا "عدوا لهم بحاربونه كما يحاربون الله والطبيعة"[1] لأنه كان يدعوهم إلى الحياة البسيطة والرضاء بالقليل، إلا أنهم لم يأبهوا له وظلوا في سعيهم وراء ملذاتهم ومع ذلك لا يصلون إلى ما يبتغون ولا يستسلمون لأمر الواقع يقول الشيخ "فلا يكون أثر ذلك في نفوسهم أن يؤمنوا بسنة والطبيعة"[2] ويرى نفسه على غيرهم فهو يؤمن بسنة الله والطبيعة ويوحدها مع الله، ويرى أيضا بأنه حضي بما كان بوسعهم أن يحضوا به إلا أنهم أبوا ذلك لأن نظرتهم للحياة غير نظرته، فتمتع في معتزله هذا وعاش أسعد أيام حياته بين ربوع هذه الطبيعة كما كانت له الفرصة أن "يناجي الله والطبيعة وجها لوجه لا يحول بينه وبينها حائل"[3] والطبيعة بسحرها وجمالها في نظره تتجلى بصفة المعبد يقول الشيخ: "وألقي نظري تارة على الروض الجميل ... فأراه في سكون الريح وهدوئها معبدا قد لبس الجلال والوقار، وانتثرت في جنباته أشخاص الراكعين والساجدين"[4] لم تكن "الطبيعة عند الرومنطقي مساحة جغرافية فحسب، بل هي أيضا ملاذ وصديق مخلص يهرب إليها كلما اشتدت عليه وطأة الأحزان والهموم وكلما أرهقته ضوضاء المدينة ومتاعب المجتمع في أحضانها يستريح، ويمتع نظره بمشاهدها الجميلة المتنوعة"[5].

إن الطبيعة إحدى أهم خصائص المذهب الرومانسي، فتوفرت هذه الخاصية بشكل بارز في الرواية التي بين أيدينا من وصف للطبيعة والاستمتاع بجمالها والهروب إليها من ضغوط الحياة وضيقها في المدينة إلى الأماكن الرحبة الواسعة التي يمكن للإنسان فيها أن يستعيد ذاته وينعم بالسلام الداخلي، فاتحد وتلاحم مع عناصرها وصار جزءا منها، واتخذ منها معبدا ليتوجه منه إلى معبوده من أي مكان شاء وأن يرى في جمال مناظرها وسحرها صورة الله بل وجعلها في بعض الأحيان مع الله في مرتبة واحدة، كما دعا إلى الحياة الفطرية بين هاته المعتزلات.

---

[1] المصدر نفسه، ص104.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص104.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص105.

[5] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه، ص297.

ثانيا: الخيال.

هو إحدى الملكات الإنسانية التي استطاع الإنسان استغلالها في حياته وبشكل خاص في الأدب من خلال الاعتماد عليه في صناعة الصور الأدبية، ولأن الكلاسيكية أعطت أهمية بالغة للعقل فقد أهملت الخيال الذي أعلى من شأنه الرومانسيون وأعطوه أهمية كبيرة، وضرورة وجوده داخل أعمالهم فاعتمدوا عليه بشكل بارز في أعمالهم الأدبية.

إلا أن هذا لا يعني أن الخيال قضية جديدة في الساحة الأدبية، فقد كان الحديث عنه من وجود أرسطو الذي قلل من شأنه في الأعمال الأدبية، فانتقلت مثل هذه الأفكار لبعض المفكرين المسلمين من أمثال ابن سينا فلم يختلف عن الأموال فقلل هو الآخر من شأنه وأطلق عليه اسم "التخييل"[1].

وكان الأمر مختلفا كثيرا مع الفيلسوف الألماني كانت الذي "رأى أن الخيال أجل قوى الإنسان وأنه لا عنى لأية قوة أخرى من قوى الإنسان عن الخيال، وتبع "كانت" في هذا الفهم الرومانسيون وأصحاب المذاهب الأدبية الحديثة"[2] من هنا ندرك أن الخيال هو أبرز وأهم قوى الإنسان فهو يتمم قوى الإنسان الأخرى لذلك اهتم الرومانسيون بالخيال في العمل الأدبي واعتبروه الكاشف من الحقائق "فالأدب الرومانسي يهتم اهتماما كبيرا بالخيال أكثر من اهتمامه بالعقل"[3] "فآمنوا إيمانا مطلقا بالخيال، ... ورأوا بأن كل صد لهذه القوة الخالقة قتل للقوة الحيوية في الإنسان"[4] إن اهتمام الرومانسيين وصل إلى درجة الإيمان بضرورة العودة إلى الخيال في العمل الأدبي وبأن الاعتراض أو الوقوف أمام هذه الملكة سيحد من حيوية الإنسان، واعتبر "بليك": "الخيال قوة إلهية وأن كل شيء حقيقي يصدر عنها، ... أما "كيتس" ... فكان يرى الخيال قوة تخلق وتكشف أو تكشف من خلال الخلق"[5] فبليك يقدس الخيال ويعتبره قوة إلهية وأن كل ما يصدر عنها حقيقي، أما كيتس فيرى بأنه القدرة على الخلق، وكان أيضا من بين الذين اهتموا بالخيال "كولردج" فاعتبر ما وصل إليه ما أدته

[1] ينظر محمد بابل حمدان: قضايا النقد القديم والحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، 2010، د.ط، ص53.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] محمد أحمد ربيع: في تاريخ الأدب العربي الحديث، ص95.

[4] إحسان عباس: فن الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996، ط1، ص124.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الرومانطيقية في نظرية الخيال في تحديده لطبيعة الخيال تحديدا لم يزد عليه من اليوم شيء جوهري، حيث قال "إن تلك القوة السحرية التركيبية التي نطلق عليها اسم الخيال تظهر في التوفيق بين الخصائص المتنافرة أو المتناقضة وإظهار الجدة فيما هو مألوف"[1] فهو يرى بأنه القدرة على منع الانسجام والتآلف بين أشياء مختلفة كل الاختلاف والتركيب فيما بينها للوصول إلى شيء جديد، "ويقسم كولردج الخيال إلى نوعين: الخيال الأولي، والخيال الثانوي، والخيال الأولي هو القوة الحيوية والعامل الأولي في كل إدراك إنساني وهو علمي في وظيفته ويقابل ما يدعوه "كانت" الخيال الإنتاجي، فكل إدراك علمي لا بد فيه من هذا النوع من الخيال، أما الخيال الثانوي فهو صدى للخيال السابق، ويصطحب دائما بالوعي الإرادي، وهو يتفق مع الخيال الأولي في نوع عمله لكنه يختلف عنه في درجته وطريقة عمله لأنه يحلل الأشياء أو يؤلف بينها، أو يوحدها، أو يتسامى بها ليخرج من كل ذلك بخلق جديد، ومجاله الفن، وهذا النوع من الخيال ليدعوه "كانت" الخيال الجمالي"[2] من خلال هذا التقسيم للخيال نفهم بأن الخيال الأولي هو قدرة تتوفر لدى أي إنسان عادي إلا أن الخيال الثانوي يتم باستغلال الخيال الأولي أو الانطلاق منه لصنع صورة جديدة من خلال إضافة الأديب لنظرته الخاصة مما يعني أن الخيال الثانوي قدرة لا يمتلكها الأفراد بشكل متماثل.

أما "وردزورث فالخيال عنده هو تلك القدرة الكيمياوية التي بها تمتزج –معا– العناصر المتباعدة في أصلها والمختلفة كل الاختلاف كي تصير مجموعاتنا لها منسجما، وهو يرى أن الخيال لا يدرك إلا عن طريق الشعور، فإذا كان الأمر كذلك، فإن قوى العقل لا نستطيع أن تضعف أو تنقص من الخيال شيئا، وعلى هذا الأساس يكون "الخيال" ذا مكانة تفوق قوى العقل الأخرى على شرط أن تكون الصور التي تنتجها منسقة متآزرة نتآلف على تصوير الحقيقة"[3] وهنا تظهر اتفاق وردزورث مع كولردج بأن الخيال هو القدرة على الخلق.

لقد كان الخيال باروا في الأعمال الأدبية الرومانسية على وجه الخصوص فالرومانسيون أعادوا الاعتبار له، لينتقل فيما بعد إلى المذاهب الأدبية اللاحقة، وسنحاول الوقوف عند عنصر الخيال بين ثنايا رواية الفضيلة.

---

[1] إحسان عباس: فن الشعر، ص126.

[2] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ط6، ص390.

[3] محمد هايل حمدان: قضايا النقد القديم والحديث، ص54.

يقول صاحب النص في وصف "فرجيني" ومدى تأثير الغذاء الطبيعي عليها: وتهدل شعرها الأصفر اللامع على كتفيها كأنما قد نسج من خيوط الشمس، وأضاءت عيناها الزرقاوان بنور سماوي غريب كأنه قبس من نور إلهي، فإن ابتسمتا كانتا كأنهما ثغران ضاحكان، وإن قطبتا سبحتا وحدهما في جو السماء حتى تتلاقى زرقتهما بزرقتها"[1] وإن وصف صاحب النص لهذه الفتاة جعلنا ندرك بأن الفتاة غاية في الجمال، فاستلهم من عناصر الطبيعة ما يتناسب وصفات موصوفه، فيجمع بين تلك العناصر وشكل منها صورته مستعينا بالتشبيه، فشبه شعرها بأشعة الشمس في لونها ولمعانها، أما عيناها فقد جعلها مضيئة بنور إلهي وبما أن العيون هي التي تعكس لنا شخصية الإنسان والنور الإلهي أنقى من أي نورها يجعلنا ندرك أنها تحمل بين جنبيها نفس نقية طاهرة، وإذا ابتسمتا تصبحان كالفم الضاحك، دلالة على بشاشة الوجه، أما أثناء تقطيبها فتصبح عيناها جزءا من السماء.

ووصفها أيضا حينما ذهبت هي وبول للالتماس العفو لإحدى الجواري "ورأى الحياة يترقرق في وجهها ترقرق الظل في ورقات الورد، وسمع صوتها الرحيم المتهدج كأنه ينبعث من آلة موسيقية شجية"[2] إن الطبيعة بالنسبة لصاحب النص هي مصدر الأول في رسم صوره الفنية أو هي المنبع الوحيد الذي استطاع أن يأخذ منه نموذجا لوصف شخصيات الرواية فمن خلال خياله الواسع استطاع أن يوحد بين جمال الطبيعة والإنسان، فقد كان بوسعه أن يقول مباشرة بأنها فتاة فنية، لكنه استعمال أسلوبه الخاص ليوصل لنا الفكرة أثناء تشبيهها بالوردة التي يترقرق عليها الطل فهو يريد أن يوصل لنا فكرة جمال الفتاة وشبابها وصوتها الجميل الذي شبهه بالمعزوفة الشجية كما قال أيضا يصف "فرجيني": "وقد تلألأ وجهها بنور سماوي غريب لا يشبه نور القمر ولا نور الشمس، ولا نور أي كوكب من كواكب الأرض والسماء، بل هو مبعث ذاته، ومنبع نفسه"[3] وقد وصفها صاحب النص بهذه الحالة أثناء حوارها مع بول بشأن سفرها جعلها وبشكل مميز من خلال النور الذي اكتسى وجهها فأصبحت شيئا يفوق توقعنا وكأنه أراد أن يقول بأنها أصبحت ملاكا.

وتحدثت عنها "فرجيني" في أثناء بقائها في السفينة التي كانت تغرق "إنها الرحمة الإلهية التي طالما أحسنت إلى البائسين، ...، إنها النور السماوي الذي طالما أشرق، فهي القلوب

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص24.

[2] المصدر نفسه، ص32.

[3] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص86.

البائسة الحزينة، ..."[1] لقد جعل منها هبة ربانية باعتبارها رحمة بإحسانها للمحتاجين، وبالنور السماوي لبثها الأمل لليائسين، وكأنه في كل مرة يرقى بها إلى مرتبة أعلى.

ونجده أيضا في وصف بعض المناظر الطبيعية يقول: "... وغير الظلال الممتدة التي يرسلها الليل طلائع لجيوشه الزاحفة المتدفقة، ...، فأصبحت الغابة كأنها كوكب من كواكب السماء السابقة في أجواز السفر لا يدب فيها حيوان"[2] لقد نقل صاحب النص لنا صورة حول الليل أثناء حلوله على "بول وفرجيني" وهما تائهين في الغابة، انطلاقا من إحساسهما بالخوف فتمثلت لهما ظلال الأشجار بجيوش الليل ما يدل على كثرة الأشجار وطولها بالإضافة إلى تدفقها أي على سرعة حلول الليل والسكون الذي ساد الغابة ما جعله يصفها بالكوكب الذي لا حياة فيه، لأن الكاتب استعمل خياله في خلق هذه الصورة فجمع فيما بين العناصر السابقة ليس لنقل الصورة الحسية فحسب فمن خلالها استطعنا أن نعرف الحالة النفسية التي كان عليها كل من بول وفرجيني.

ويصف إحدى الأماكن "ولا تزال هكذا حتى تدنوا ساعة الأصيل ويصف قرص الشمس وقفة الوداع علة قمة الجبل متوهجا كاللهب الأحمر فيظل ينثر ذراته الذهبية في عرض القضاء، وتظل قطع الأنوار تتساقط من بين فجوات الأغصان، كأنها الدنيا المبعثرة"[3].

لقد تعرض صاحب النص لوصف الأصيل في غير مرة وهذه من بينها، فوصف حالة الشمس بحال المودع، وبالشعلة التي تتطاير شظاياها الذهبية أشعتها التي تنتشر في الفضاء، وتتسرب هذه الأشعة بين الأغصان، متناثرة كتناثر القطع النقدية، ويواصل حديثه قائلا: "وتستحيل أوراق الزهرة سكون في ذلك وهدوئه إلى أحجار جامدة من الزمرد والياقوت والماس والفيروز، ويخيل للناظر إلى الجذوع المائلة كأنها بقايا بركان قديم غمرها في سالف العهد، ثم انحسر عنها فإذا هي أعمدة صدئة من البرونز القاتم"[4].

ويصف أوراق الأزهار أثناء سكونها بمختلف الأحجار الكريمة وجذوع الأشجار التي اكتسبت لونا جعلها تبدوا كأعمدة البرونز الصدئة، إنه من خلال هذا نجد أن صاحب النص

---

[1] المصدر نفسه، ص37.

[2] المصدر نفسه، ص119.

[3] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص57.

[4] المصدر نفسه، ص ص57-58.

جمع بين أشياء من غير الممكن أن تكون معا إلا أنه استطاع أن يخلق بينها انسجام لصياغة هذه الصورة التي تبرز بشكل واضح دور الخيال.

ويتحدث عن الطبيعة قائلا: "ثم أنظر إلى السبل المتدفق من أعالي الجبال فأرى تلك المعركة الهائلة التي تجري بينه وبين الصخور الناتئة في طريقة يهاجمها فتدفعه، ويثبت عليها فتمزقه فتتطاير أجزاؤه في جو السماء كأنها شظايا ألواح البلور، فيشتد غيظه وحنقه، وإرغاؤه وإزباده، يحاول أن يثأر لنفسه منها فلا يزال آخرا أكثر مما نال أولا، وهي جامدة في مكانها لا تحرك ساكنا ولا تمديدا، فلا يجد له بدءا من الفرار وجهها، وشأن الطيش والنزف بين الرزانة والحلم"[1] لقد كان لصاحب النص نظرة خاصة لما يجري حوله رأي في حركة المياه وارتطامها بالصخور كأنها معركة تهجم المياه على الصخرة فيمزقها ويرى قطرات الماء المتطايرة كشظايا البلور يزيد غضب الماء وتعود لتهاجم مرة أخرى لكن دون جدوى لأن مصيرها الهلاك لا محالة شأنها في هذه المعركة شأن الطيش أمام الرزانة وهو ما يكون عليها إلى أن تأخذ طريقها وتتسلل بين الأشجار في هدوء راضية بهذا المصير، إن صاحب النص أورد لنا هاته الصورة مبينا حال الناس الذين يبصرون على أشياء من غير الممكن أنتكون لهم فاستطاع من خلال خياله ونظرته الخاصة أن يصنع لنا قصة بين عناصر الطبيعة التي لا شأن لها بالمعارك والحروب وإنما هي تتصرف على طبيعتها.

ووصف العاصفة "... فرأينا الموج يرتفع ارتفاع الجبال من صك بمنكبه منكب السماء، ثم يندفع إلى الشاطئ هوي العقاب إلى وكره فينسف ماله وحصاه، ويطير كالسهم الأليم في حالته وقعه ونزعه، ويترك وراءه بقعة واسعة من الرمل كصفحة المرآة في لمعانها واستوائها"[2] إنه يصف هول العاصفة فشبه ارتفاع الموج بارتفاع الجبال، وهبوطها بهوي العقاب، وأثرها كأثر الذي يغرس في جسم الإنسان إلا أن أثرها يكون على الأرض الرملية بتركها مساحة مستوية تشبه المرآة في استوائها.

إن هذه اللوحة الفنية التي رسمها لا تختلف عن سابقاتها التي جمع فيها بين أشياء لا يربط بينهما أية صلة (العقاب، السهم، المرآة) ويصف إشراق الشمس في أحد الأيام "حتى إذا برزت الشمس من خدرها وأخذت تنفذ بيدها غبار الظلام عن وجه الأرض، وتمسح بين

[1] المصدر نفسه، ص106.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص117.

الطبيعة المكتئب بريشة أشعتها الذهبية"[1] لقد شبه الشمس بالمرأة التي تنظف ما حولها من الغبار، وتحدث أيضا يصف إحدى المناظر الجميلة "فإذا ألقوا بأنظارهم في جو السماء المائج فوق رؤوسهم بأضوائه وأنواره، خيل إليهم أنهم بين سمائين متقابلين: سماء تنبت الكواكب والنجوم وأخرى تنبت الأزهار والأنوار أو روضتين مترانيتين: تتألق في إحداها الزنابق البيضاء على ديباجة زرقاء، وفي أخراها الورود الحمراء على قطيفة خضراء"[2]، عشق صاحب النص الطبيعة وهام بجمالها من سمائها وأرضها فتخيل أنه بين سمائين إلا أن نباتهما مختلف أو بين روضتين إلا أن لون أرضها يختلف ولن نباتها.

لقد كان للرومانسيين الفضل في "توضيح معنى الخيال، وأنه إنتاج الصور الصادق تثير شعورا نفسيا وهي السبيل إلى وصف أعماق النفس وسرائر الكون، ...، والصور الصادقة التي هي نتاج الخيال في معناه السابق لا تقوم على الشبه الظاهري الحسي، ولكنها تثير شعورا نفسيا يتجاوز هذه المظاهر"[3] وإن النص الذي بين أيدينا توفر على عنصر الخيال والذي يعد من بين خصائص المذهب الرومانسي ولقد استطاع صاحب النص أن ينقل لنا صدق شعوره من خلاله هذه الصور التي كانت الطبيعة هي المصدر الأول في تشكيلها فاستطاع أن يعثر على صورا لأفكاره في الطبيعة بحيث ينتقي من عناصر الطبيعة ما يوافق شعوره وفكره وينظم هذه العناصر في صورة وحدة متكاملة تفوق ما متفرق في الطبيعة[4] واعتمد في ذلك على التشبيه بمختلف أنواعه وأغراضه، فنقل لنا شعوره من خلال هاته الصور.

[1] المصدر نفسه، ص24.

[2] المصدر نفسه، ص46.

[3] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2004، د.ط، ص324.

[4] ينظر محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص390.

ثالثا: العاطفة (الحب والألم).

جاء الأدب الرومانسي غنيا بالعاطفة إلى درجة أنه سمي بأدب العاطفة، فالأدب الكلاسيكي أعطى السلطة للعقل فعده البعض أدبا جافا وحاول الرومانسيون إعادة الاعتبار للإنسان وعواطفه ومنحوه الفرصة للتعبير عنها، فأطلق الرومانسي العنان لعاطفته وعبر عنها بشتى الطرق المختلفة فأصبح الأدب في نظرهم عبارة عن مجموعة من العواطف، واعتبروا العاطفة هي الطريق للوصول إلى الحقيقة "إن الحقيقة العميقة لا يصل إليها إلا أصحاب العاطفة العميقة وكل حقيقة نوع من الوحي"[1] فتحدث الرومانسيون عن عواطفهم بشكل مميز وبالعودة إلى رواية "الفضيلة" فإن ملامح العواطف التي بثها المؤلف في روايته بشكل بارز هما الحب والألم وسنحاول الوقوف عليها بين ثنايا بالنص.

1) الحب: من أسمى العواطف التي يمكن أن تكون تبين البشر، فشاع في الأدب الرومانسي واعتبرا بأن "لا قيمة للحياة من دون حب، وأن من أجله خلق الله الإنسان"[2].

وما يظهر على الرواية هو نوع عام من الحب موجه للإنسان على العموم وآخر خاص مرتبط بعلاقة المرأة والرجل والعواطف بينهما[3].

أ- **الحب الخاص:** "وهو الحب الذي يخص المرأة والرجل"[4]، إن الحب كما جاء في النص هو الذي أدى بهلين أن تنزل دون منزلتها وتتخلى عن الحياة بين أهلها الأغنياء، لتعيش إلى جانب رجل فقير في جزيرة متقطعة تماما، حتى وفاة زوجها اختارت البقاء في هذا المكان، لأن الحب منحها القوة التي تحيا بها "... أحبها وأحبته"[5] والحب أيضا هو الذي أتى بصديقة "هيلين" وهي "مرغريت" من موطنها وباسم الحب نفسها لرجل، "فأحبها ...،

[1] محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، ص63.

[2] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه، ص298.

[3] ينظر صابر عبد الدايم: أدب المهجر، دار المعارف، القاهرة ط1، 1993، ص374.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص10.

فصدقت ما حدثها به عن الحب، ..."[1] وحملت في أحشائها ولدا باسم الحب، إلا أن صاحب النص لم يتحدث عن حب هاتين المرأتين بشكل كبير وبارز.

والحب هو الذي أعطى القوة لخادم "مرغريت" "دومنيج" أن يكون عاملا نشيطا، لأنه أحب "ماري" خادمة "هيلين" "وربما كان للغرام يد خفية في ذلك النشاط الغريب المنبعث في أنحاء نفسه"[2].

أما حب بول وفرجيني الذي كان في بدايته عبارة عن حب أخوي، فلقد رأى صاحب النص بأن صلتهما أغرب وأعجب ما رأى في حياته "ولم أر فيما رأيت من عجائب الأشياء وغرائبها أغرب من تلك الصلة التي كانت بين هذين الطفلين الساذجين الطاهرين ولا أعجب من ذلك الامتزاج الذي بين روحيهما"[3] إن صاحب النص يتحدث عن هاته العلاقة بأنها أعجب ما رأى في حياته، لأن حب هذين الولدين كان قويا، ولأن اتصالهما ببعض كان دائم وكأنهما صاروا واحدا "قّا شكا بول شكت فرجيني بشكاته، وإذا بكا لا يخفض عبرته ولا يسري حزنه إلا رؤيتها باسمة بين يديه"[4] أو يتحدث أيضا عن طبيعة الحب الذي يجمع بينهما قائلا: "ولم يكن حبهما حبا صناعي ولا متكلفا فيحتاجا إلى استدامة واستبقائه وتأريث ناره في قلبيهما بالملق والدهان والتدليل والترفيه، وخلابة الألفاظ، وسحر البيان، لا بل لو سئل أحدهما عن الحب وتعريفه وصفاته لما استطاع أن يجيب بشيء لأنه لا يفهم من الحب سوى أنه حاجة إلى بقاء صاحبه بجانبه لا يفارقه ولا يغيب عن وجهه، ولا يزيد على ذلك ولا ينقص شيئا"[5] وإن حبهما لم يكن صناعيا، بل أنهما لم يضعا له تعريفا لأنه في نظرهما هو حاجة كل منهما إلى بقاء الآخر بجانبه، فلم ينشغلا في البحث عن طبيعته، فشبهه صاحب النص "بالإيمان في قلوب العجائز، والإلهام في أنفس الحيوان، والعبقرية في أذهان الخاملين المغمورين"[6]، من خلال هذه البارة نستطيع أن نرى بأن الحب بالنسبة للكاتب أنه إيمان، لأن كلا منهما يؤمن ويصدق حب الآخر، والإلهام ما يعني أنه شب خارج

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص17.

[3] المصدر نفسه، ص21.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المصدر نفسه، ص25.

[6] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص25.

إرادتهما وبأنهما لا يكلفان نفسهما في اصطناع هذا الحب وبالعبقرية الخاملة كل يوم يدرك صاحبها منها شيئا إلا أن تظهر بشكل بارز للعيان "فهما ينعمان بحب هادئ لطيف لا جلبة في ولا ضوضاء، ولا تجاذب ولا تأخذ، ولا شكوى ولا عتاب، ولا سهر ولا قلق ولا خوف من الطوارق ولا خشية من الفواجئ"[1]، كل هذه الصفات التي كان عليها حبهما لأنهما لم يزالا طفلين فهما لا يدركان حتى طبيعة الشعور الذي يكنه كل منهما للآخر، وكأن جهلهما بهذه الأمور نعمة أتاحت لهما أن بعضهما يحب صادق هادئ لا تشوبه شائبة ولا تكدره سوء حال.

إلا أن الأمر لم يبق على هذه الحال، لأن حبهما كان يكبر معهما وينحى منحا آخر، فجرى حديث بينهما في هذا الشأن حدث "بول فرجيني" يخبرها عن الحال التي هو عليها قائلا: "إنك لا تستطيعين أن تحبيني كما تحبني أمي، أو تعطفي علي عطفها، أو تقاسميني همومي وآلامي مقاسمتها، ولكنني أشعر أن الذي أضمره لك من الحب والعطف فوق كل الذي أضمره لها"[2].

قارن بول بين حبه لأمه وحبه لفرجيني فكان أن وجد نفسه بأنه يحب فرجيني أكثر منها وبأن هذا الأمر خارج عن إرادته ما يدل على حبه الكبير لها فأصبحت كل شيء بالنسبة له " إنك كل شيء يا فرجيني إنك حياتي التي لا أستطيع أن أعيش يدونها بل لا أستطيع فراقها لحظة واحدة"[3] إن الحب الذي بينهما عظيم بحيف لا يستطيع أحدهما أن يعيش بعيدا عن الآخر أو دونه، لأن فرجيني هي مصدر راحته ومتعة نفسه يقول: "تعالي إلي يا فرجيني وضعي رأسك على فخذي لأشعر بالراحة من جميع متاعبي وآلامي، وتحدثي إلي قليلا فحديثك غذاء نفسي وراحة ضميري"[4] فوجود فرجيني بالقرب من بول يحقق استقراره النفسي وهدوء ذاته وحال "فرجيني" لم تختلف عن حال "بول" فلا يوجد شيء يبعث السرور في نفسها، كما يفعل هو "لا تستطيع أن تبعث السرور إلى نفسي كما يبعثه جلوسي بجانبك، وامتزاج أنفاسي بأنفاسك"[5] وتواصل فرجيني التعبير عن حبها وتقول: "إني أحب والدتي حبا

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص25..

[2] المصدر نفسه، ص60.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص61.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

جما، ولكنني أحبها أكثر من كل وقت في الساعة التي أراها تحنوا عليك فيها وتضمك إلى نفسها وتدعوك يا ولدي"[1] إن وجود كل منهما قرب الآخر يبعث بالسعادة والاستقرار في نفسيهما، ونجد أن حب فرجيني لبول لا يقل عن حبه لها، كما رأت أنه من الطبيعي أن يحبا بعضهما هذا الحب كله وشبهت حالتهما بحال "الطائرين اللذين ينشآن في منشأ واحد وجو واحد يتعاطفان ويتآلفان حتى ما يكاد يصبر أحدهما عن صاحبه"[2] فعلا أدركا حبهما لبعض، ويصف صاحب النص حال فرجيني أثناء حبها بأن طالما تغبر وأصبحت تفضل العزلة والانفراد، فبعد أن كانت الطبيعة مصدر سعادتها لم تعد كذلك "ذلك لأن قلبها قد خفق الخفقة الأولى، والحب إذا خالط قلب الفتاة لأول عهد هابه نقلها من حالة السرور والبهجة إلى حياة الهموم والأكدار"[3] إن صاحب النص يحدثنا عن حالة الإنسان أنه إذا أحب يخرج عن حاله المألوف، فالحب غير الأخوة وغير الصداقة، وتغير الحالة النفسية للمحب هي الدليل الوحيد على أنه أحب "كما أن المرأة الفارغة تشعر بتغير في جميع حالاتها الجسمية إذا بدأت بذرة الجنين تنمو في أحشائها، كذلك الفتاة الخالبة تشعر بتغيير في جميع حالاتها النفسية إذا أحست بدبيب الحب في قلبها"[4]، ورأى كذلك بأن المرأة لا تملك من القوة أمام المحن النفسية مثل الرجل فكذلك حال فرجيني أو المرأة بصفة عامة "فإذا أحست لأول عهدها بالحب وكانت شريفة فاضلة، خرج بها الحب إلى حالة أشبه بالجنون والخبل وما هي بجنون ولا خبل، ولكنها حيرة النفس وضلالها"[5] أراد صاحب أن يقول بأن حب المرأة الفاضلة غير حب باقي النساء، وأن له تأثير عليها، وليس من أصعب الظروف التي يمكن أن يمروا بها، وكان قد طلب من فرجيني السفر فأتت ذلك قائلة: "وكيف لي بترك بول يا أماه"[6] إنها لا تستطيع العيش بعيدا عنه لذلك لم تفكر في شيء سواه، فأمرتها والدتها بالتضحية والسفر من أجل "بول" ليحضيا بحياة أفضل "ولكن حبك إياه عظيما مجيدا كحبي إياك، ولن يعظم الحب ولن يمجد إلا إذا بني على أساس من التضحية والبذل"[7] إن الحب في نظر صاحب النص يسموا

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص61..

[2] المصدر نفسه، ص62.

[3] المصدر نفسه، ص63.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص64.

[6] المصدر نفسه، ص75.

[7] المصدر نفسه، ص76.

ويزيد ويعظم بالتضحية بين المحبين، وأمرت ابنتها بالتريث والتحلي بالأخلاق، والفضيلة لأن الرجل "يحب المرأة الفاضلة أكثر مما يحب المرأة الجميلة، بل لا يعرف للمرأة جمالا غير جمال الأدب والعفة، وإن زعم في نفسه غير ذلك قالت: ذلك ما أعرف ولا أعرف شيئا سواه"[1] فكان من معنى حديثها أن جمال المرأة ليس بشكلها بل بأخلاقها وعفتها وأن أقرب النساء لقلب الرجل من الفضليات اللواتي يحفظن شرفهن.

إن الحب هو القدرة على إعطاء العهود والوعود، لأن فرجيني أعطت "بول" وعدا بأنها لن تكون لغيره فقالت له: "... أنني أكون لك ما حييت ولا أكون لأحد غيرك"[2]، وللحب كما سبق وأشرت أثره في الإنسان أثر عظيم، وبول مثال على ذلك فالحب دفع ببول لتعلم القراءة والكتابة لمراسلة فرجيني وتعلم كثير من العلوم "فن الفلاحة، وعلم تقويم البلدان، وعلم التاريخ ..."[3] وكان وراء تعلك كل هذه العلوم هو الوقوف إلى فرجيني بأي طريقة كانت يقول صاحب النص: "استطاع الحب أن يخلق من هذا الغلام الهمجي المتوحش إنسانا كاملا مستنير الذهن مستوي العقل فياض الشعور والإحساس"[4] إن ما جاء في النص يجعلنا نصل إلى أن للحب القدرة على تهذيب النفس الإنسانية وبوقف فيها المشاعر الطبيعية وينير جوانبها المظلمة، ويطهرها، فالحب مقدس لدى صاحب النص وهو الابتعاد عن الرذائل.

ب- الحب العام: "هو الحب الذي يشمل الإنسانية كلها ويبارك التقدم البشري، ويأس لما يصيب الإنسان من خير وشر ويسعى إلى الخير والحق والجمال"[5].

فالحب لا ينحصر بين الرجل والمرأة بل الحب يشمل الناس المحيطين بنا أيضا، فالرومانسيون لم يهتموا بالحب بين الرجل والمرأة فقط "وليس بالضرورة أن يكون الحب بين رجل وامرأة بل إنه يتخطى هذا المفهوم الضيق ليشمل خب الناس جميعا، وجميع المخلوقات، من جماد ونبات وحيوان، إنه حب الأم لابنها، والوالد لابنه، والحبيب لحبيبته، والناس لبعضهم لأن الله محبة"[6].

---

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص86.

[3] المصدر نفسه، ص91.

[4] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص92.

[5] صابر عبد الدايم: أدب المهجر، ص374.

[6] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه، ص299.

إن شخصيات الرواية عاشوا سعداء فيما بينهم وأحبوا بعضهم بعض، وأحسنوا لبعضهم فجمعتهم الهموم والأحزان ليعيشوا في سعادة بهذا المكان الذي يوجد فيه امرأتان "مرغريت" وابنها بول، وهيلين وابنتها "فرجيني" وخادميهما "ماري ودومينيج" والشيخ، فتحدث عن دومينيج الذي يحب سيدته "حبا جما" ويخلص لهما ويعمل حبا فيهما بكل نشاط.

ويتحدث الروائي عن العلاقة بين هيلين ومرغريت أنه لم ير مثلهما قذ في حياته "وحضرت مواقف الحب بين المتحابين والصداقة بين المتصادقين، فلم أر في حياتي، منظر أجمل وأبهج، ولا أحلى في العين، وأوقع في النفس من منظر الحب والصداقة بين هاتين السيدتين الكريمتين، حتى كان يخيل إلي أحيانا أن نفسيهما قد استحالتا إلى نفس واحدة يحملها جسدان"[1] لقد أحبتا هاتين المرأتين بعضهما البعض إلى درجة أن صاحب النص يرى بأنهما أصبحتا نفسا واحدة في جسدين فهو يرى بأن كل واحدة أرسلها الله للأخرى لتكون لها رفيقة وأنيسة في هذه الأرض التي لا أهل ولا خل لهما.

واعتبر صاحب النص الوالدين واجب وكذلك الإخلاص لهما كما يخلص العبد لسيده أو العابد لمعبوده حيث قال عن بول وفرجيني "... وإلا ليؤديا واجب الحب والإخلاص لذينك الشخصين الكريمين عليهما، وهاهما، يقومان بهذا الواجب بأفضل ما يقوم به عبد لسيده، بل عابد لمعبوده"[2].

وجب الأم الذي جعل من هيلين لا تبالي بكرامتها في سبيل أن ترى ابنتها سعيدة تحيا حياة غير هذه الحياة فأرسلت رسالة إلى عمتها تطلب منها استقبال ابنتها هناك لتعيش معها وتحظى بحياة أفضل.

لقد عاش هؤلاء القوم متحابين فيما بينهم متعاطفين فإذا حزن واحدا منهم شاركوه حزنه أو كان حزنهم جميعا، وإذا فرح كان فرحهم جميعا، ولم تكن عاطفة الحب والعطف حكرا فيما بينهم بل كانوا يحسنون لمن حولهم فهذه الأسرة "أحبت القريب والبعيد والمحسن والمسيء وعطفت على الناس جميعا من شملت إليه بصلة ومن لا تمت إليه بشيء"[3].

[1] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص19.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة ص23.

[3] المصدر نفسه، ص42.

وقرأ الشيخ بأن أشهر الناس هم الذين يحبون بعضهم البعض، وأن شقاء الإنسان إنما سببه البغض "... وأسعدهم جميعا المحبون الذين يحبون الناس ويمنحونهم ودهم وصفائهم، فيمنحهم الناس من بنات قلوبهم مثل ما منحوهم"[1].

وندرك من خلال الرواية أن عاطفة الحب تجعل من الإنسان شخصا أكثر قوة وفرحا وقدرة على العيش في سلام وهدوء.

2) الألم: إن الرومانسيين مجدوا الألم وجاء أدبهم حافلا به "وإذا صح أن كل لذة يعقبها ألم، فإن بعد كل حب مرارة وعذاب"[2] وكما استطاع الحب أن يعطي القوة لهيلين لتعيش بمفردها، استطاع الألم أن مكانا بين ضلوعها لأنها فارقت أهلها وفقدت زوجها في معتزل ناء، ومرغريت التي رأت أن عيشها تحت سقف هذا الألم والندم إنما هو عقاب لها على فعلتها، فقد هاجرتا لهذا المكان لتعيشا بعيدا عن المدينة التي تذكرهما بألمهما، فكان بمجرد زيارتهما لها يثير ألمهما "فإن فعلتا نالهما من الألم والامتعاض ما ينغص عليهما يومهما ويستثير كامن حزنهما وألمهما"[3] وكما للحب أن يجمع بين المتحابين كذلك فعل الألم يقول صاحب النص: "وحدت بينهما الهموم والآلام"[4] استطاع الألم أن يجع بين هاتين السيدتين لتكونا صديقتين مخلصتين فكانتا تريان في ولديهما السلوى عن ألمهما ولأنهما حرمتا السعادة الزوجية فكان كل ألمهما أن لا يحرما ولديهما هذه السعادة "كأنما بقيت في زوايا قلبيهما بقية من ذلك الألم الماضي، ألم حرمانهما الهناء الزوجي"[5] إن هذه الذكرى المؤلمة لم تبرح ذاكرتيهما فكانت تثير آلامهما، فما شقائهما وحزنهما في نظر الكاتب إلا لأنهما تمردتا على الطبيعة فعوقبتا أن كانت حياتهما شقاء وحزنا وألما، ووصف حالا طرأ على هذه الأسرة

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه أنواعه مذهبه، ص302.

[3] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، ص18-19.

[4] المصدر نفسه، ص19.

[5] المصدر نفسه، ص20.

صاحب النص ب"العزاء" ما يدل على شدة الحزن الذي لحق بهته الأسرة، فعادت ما يكون العزاء لأهل الميت فالحزن الذي لحق بها شبهه صاحب النص بالحزن على الميت وجاءت بعض العبارات التي تصف في هذا الموقف حزن هيلين "نفسهما كانت تسير لوعة وأسى، باكية منتحبة، وفؤادها يتمزق لوعة وأسى"[1] من خلال هذه العبارات ندرك حجم الألم الذي ألم بهاته المرأة وعائلتها التي شاركتها حزنها وألمها، فشخصية الرواية كانوا يحزنون أيضا لأجل من حولهم وما يدل على ذلك تصرف فرجيني الذي وصفها بول قائلا "فإن أنسى لا أنسى صورة ذلك الألم الشديد الذي ارتسم على وجهك يوم جثت لك البائسة المسكينة تحت قدميك"[2]، إن الألم لحق بفرجيني من الحالة التي آلت عليها لأنها أحبت بول فعاشت في حالة من القلق والألم يقول صاحب النص: "كأنما تريد أن تبثها ألمها وتفضي إليها بسرها فلا تستطيع"[3] إن فرجيني لم تستطع على البوح بمشاعرها والألم الذي ألم بها إلا أن تصرفاتها وهيئتها كشفت ما بها، وحزنت وتألمت كثيرا لفراق والدتها وعائلتها وحبيبها بول، وأما هذا الأخير فأعظم حزن وألم ألما به أثناء سفر فيرجيني "فخيل إليه أن قلبه يرفرف ما بين أضلاعه رفرفة الطائر بأجنحته، وأنه يحاول أن ينبعث من مكانه ويطير في أجواز الفضاء فصرخ صرخة عظمى وظل يهتف: آه يا فرجيني ...، آه يا فرجيني"[4]، شبه صاحب النص قلب بول كالطائر الذي يريد أن يحلق ولكنه لا يستطيع فكان أن صرخ من شدة الحزن وصفا صاحب النص بأنها صرخة عظمى ليبدي شدة حزنه وألمه، ولم يكن ألم فرجيني أقل من ألمه وحزنه، فوصف حال بكائها "فلم تستقبله إلا بدموعها تنحدر على خديها تحدر حبات العقد وهي سلكه فانتثر"[5] شبه صاحب النص دموعها بحبات العقد ليبدي غزارة دموعها ما يثبت حزنها.

---

[1] المصدر نفسه، ص29.

[2] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة ، ص61.

[3] المصدر نفسه، ص66.

[4] المصدر نفسه، ص79.

[5] المصدر نفسه، ص83

وكان حزن بول يزداد لأن فرجيني سافرت دون أن يودعها فبكى بشدة يقول صاحب النص: "وأنشأ يعج عجيجا محزنا"[1] إن البكاء كان السبيل أو المتنفس الذي يعبر به عن ألمه وكامن حزنه.

أما الشيخ الذي كان صديقا للعائلة تألم لفقد جيرانه وأصدقائه يقول الراوي أن أثناء قصه لقصة هؤلاء "فإذا دمعة رقراق تترجح في مقلتيه"[2] إن الشيخ أحب هؤلاء القوم وكانوا بمثابة عائلته، إن ذكرى وفاة فرجيني أثارت ألمه وحزنه الكبيرين يقو الراوي: "ثم لم يلبث أن انفجر باكيا ينشج نشيج الأطفال فهاجني بكاؤه فبكيت حتى ذهلت"[3] إن حزن الشيخ على هاته الفتاة يبين المكانة التي تحضى بها عنده، ويصف ليلة وفاتها قائلا: "ولا أستطيع أن أصف لك يا بني هول تلك الليلة في ذلك الكوخ، فلم تكن ليلة بكاء وعويل وولولة وصياح، كما ليالي الثكل في بيوت الثاكلين، بل ليلة حزن صامت عميق يحبس الدموع عن الانطلاق والزفرات عن التصعيد، وما أنسى منظر تلك المرأة المسكينة، وهي ساقطة تحت أعباء ذلك الحزن الثقيل تئن أنين الدفين تحت أنقاض بيت الساقط"[4] إن وفاة فرجيني لم تكن مطلقا في الحسبان، فحزنوا عليها حزنا عميقا بحيث عجز الشيخ عن وصفها وعجزوا على ذرف الدموع فشبه منظر أم فرجيني بالدفين تحت الأنقاض الذي يعجز عن أي فعل فما بوسعه إلا أن يئن ألما، وكان أن خصص عنوانا أسماه "أحزان بول" فيصفه: "إنه استحال إلى شخص آخر غير ذلك الشخص الأول وكأنما انطفأ في قلبه ذلك المصباح المنير الذي كان يمد حواسه ومشاعره بالنور والإشراق فأصبح ذاهلا مذهوبا به تحدثه فلا يكاد يفهم حديث"[5]، لا عجب أن يصبح على هاته الحالة لأن فرجيني كانت كل حياته وقد فقدها شبهها صاحب النص بالمصباح الذي ينير الطريق ففرجيني أنارت نفسه وبعثت في حياته البهجة والسرور فقد عاش هائما بين الأماكن التي كانا يذهبان لها معا ويجلس فيها إلى أن يعود به من رآه فانقطع عن الأكل، لقد صار أقرب ما يكون إلى الجنون إلى أن مات على قبرها ودفن بالقرب منها.

---

[1] المصدر نفسه، ص89.

[2] المصدر نفسه، ص16.

[3] مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة ، ص121.

[4] المصدر نفسه، ص123-124.

[5] المصدر نفسه، ص126.

إن العاطفة من بين أهم خصائص الرومانسية وأبرزها وقد حفل النص بالعاطفة وعلى وجه الخصوص الحب والألم، فالحب جاء على وجهين حب المرأة والرجل الذي حث فيه الروائي على التحلي بالأخلاق والفضيلة ووصفه بالطهر والعفة فهو يقدس الحب العذري ويحث عليه، وتحدث أيضا عن الأم، والولد والصداقة والناس الذين حولهم، أما الألم فقد كان سببه الرئيسي فراق الأحبة ولأنهم أحبوا بصدق تألموا بصدق لفقدهم أحبتهم.

خـــــــــــــاتمة

خاتمة:

في ختام هذا البحث يبدو من الصعب الجزم بالإحاطة بتفاصيل الرومانسية التي شكلتها رواية "الفضيلة" من خلال الأحداث والشخصيات التي رسم تفاصيلها "مصطفى لطفي المنفلوطي "ولكن يمكن تلخيص أهم النقاط التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة عن النحو الآتي:

- ✓ أن الرومانسية كانت ثورة ضد الكلاسيكية من خلال الدعوى إلى التحرر والتخلص من الآداب القديمة .
- ✓ تمجيد الرومانسيين للعاطفة واعتبارها مصدرا للإبداع كما أنها مفتاح للكشف عن الحقائق .
- ✓ تأثر الأدباء العرب بالرومانسية الغربية تجلى في إنتاجهم الأدبي بالإضافة إلى ترجمة بعض الأعمال من الأدب الغربي .
- ✓ رواية الفضيلة رواية رومانسية من خلال الخصائص التي تجلت فيها من طبيعة وخيال وعاطفة .
- ✓ إن الطبيعة داخل الرواية لم تكن مجرد مكان للأحداث بل تعدت ذلك وساهمت في إثراء جوانب كثيرة من الرواية ،كما كان حضورها داخل النص الروائي متعدد الوجوه ما أبدى مكانة الطبيعة في الأدب الرومانسي.
- ✓ بروز عنصر الخيال من خلال الصور التي جاء بها صاحب النص.
- ✓ – سمو صاحب النص بعاطفة الحب بشكليه العام والخاص وربط الأخير بالأخلاق بالإضافة إلى عاطفة الألم التي عبر عنها صاحب النص بطريقته الخاصة.

وفي الأخير نرجو من الله عز وجل أن يكون بحثنا قد أعطى فكرة حول رومانسية رواية "الفضيلة" "لمصطفى لطفي المنفلوطي" من خلال ما تجلى فيها من خصائص الرومانسية.

مـــــــــلحق

مصطفى لطفي المنفلوطي:

نشأته وحياته: ولد مصطفى بن حمد لطفي المنفلوطي سنة 1872م في بلدة منفلوط بصعيد مصر، لأسرة مصرية معروفة بالشرف والحسب، ونشأ في بيت كريم بالدين جليل الفقه، توارث أهله منصب القضاء وحفظ القرآن الكريم في الكتاب كعادة أقرانه من أبناء الريف، ثم انتقل إلى القاهرة ودخل الأزهر ومكث به عشر سنوات يدرس ويحصل، وكان في طبعه ميالا إلى الأدب فدرس كتب الأدب بنفسه، فهو يحفظ الأشعار، ويتصيد الشوارد ويصوغ القريض، وينشئ الرسائل، ثم إلى حلقة الشيخ محمد عبده الذي يدرس حين ذاك في الأزهر لطلاب كتابي "عبد القاهر الجرجاني" في البلاغة "دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة" ولزم دروسه فأفاد من معارفه ونال شهرة في الأزهر بذكائه القريحة وروعة الأسلوب.

الكتب المفضلة لديه: درس العقد الفريد، والأغاني، وزهر الآداب، ودواوين المتنبي، والبحتري، وأبي تمام، والشريف الرضي، وابن الرومي، وأبي علاء، قرأ كتب عبد الحميد، وابن المقفع، والجاحظ، وابن خلدون، وبديع الزمان الهمداني، وابن كثير، كما قرأ كتب النقاد: الآمدي، والباقلاني، وغيرهم ممن تناولوا وصف الكلام الجيد، وله كتاب "مختارات المنفلوطي" فيه منتخبات لمن سميناهم.

أخلاقه: كان رضي الطبع، هادئا، رزينا، فيه شيء من الانقباض، رقيق الفؤاد يتألم بمآسي الإنسان، وآلامه، كان يكره الاحتلال الانجليزي، والحضارة الغربية، ويدافع عن الحضارة الشرقية بحماسه، وكان سليم القلب، وصحيح العقيدة، وكان فيه طموح[245]، كما كان دقيق الحس، رفيق العاطفة، رحيم القلب ويغمره الشعور بالأسى من كل ما يتغير على هذا العالم من ضروب الويل والشقاء[246].

آثاره: ترك المنفلوطي آثارا كثيرة منها:

[245] محمد واضح رشيد الحسني الندوي: أعلام الأدبي العربي في العصر الحديث، دارا لرشيد، لكاؤ، الهند، د.ط، ص95-96.
[246] مجموعة من الأساتذة: المفضل في تاريخ الأدب العربي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1923، ص310-311.

- النظرات، ثلاث أجزاء.
- العبرات، مجموعة قصص.
- الشاعر أو سيرانو دبير جراك.
- الفضيلة، أوبول وفرجيني.
- في سبيل التاج.
- مجد ولين أو تحت ظلال الزيزفون.

وللمنفلوطي شعر قليل، وله "مختارات المنفلوطي" وهي لطلاب المدارس.

موضوع المنفلوطي: عنى بالأمراض الاجتماعية خاصة في اصلاح الأخلاق، وتطهير المجتمع من المفاسد، وصور البؤس والشقاء، والاستغلال، وذكر الانتحار، وسوء تصرف المترفين، وله أبحاث أدبية، ونقدية كذلك وهو ينتقد انحراف الأدب الحديث.

أسلوبه: كان المنفلوطي أديبا موهوبا، وحظ الطبع فيه أكثر، ويستم أسلوبه بالطلاوة، والعذوبة، والرصانة، واللفظ المختار، والتصوير الفني، والاتزان بين العبارة، ويميل إلى الاطناب والتفصيل، وسمته الغالبة العاطفة والانفعال.

يقول العلامة الشيخ أبو الحسني الندوي عن المنفلوطي وهو أديب مطبوع يرسل النثر حلوا مرسلا، محبوكا، كان دقيق الحس، رقيق العاطفة، رشيق العلم، سهل البيان، حلو العبارة، مشرق الدباجة.

نموذج من أسلوبه:

يقول وهو يناجي القمر:

أيها القمر المنير: كان لي حبيب يملأ نفسي نورا، وقلبي لذة وسرورا، وطالما كنت أناجيه ويناجيني بين سمعك وبصرك، وقد فرق الدهر بيني وبينه، فهل لك أن تحدثني عنه، وتكشف لي عن مكان وجوده؟ فربما كان ينظر إليك نظري ويناجيك مناجاتي، ويرجوك رجائي[247].

[247] محمد واضح رشيد الحسني الندوي: أعلام الأدب العربي الحديث، ص96-97.

ملخص الرواية:

تقع أحداث الرواية في إحدى الجزر الإفريقية التي يستعبد سكانها السود المهاجرين الأوربيين، حيث يفد إلى هاته الجزيرة فتى من "نورماندي" يدعى "مسيو دي لاتور" مع زوجته، بعدما كان تقدم لخطبتها وهي من أسرة ثرية فما كان من اسرتها إلا الرفض لأن المستوى المادي يحول دون ذلك، فتزوجها في السر وقدم بها إلى هاته الجزيرة تركها وذهب إلى جزيرة مدغشقر ليجد من يعينه على استصلاح هاته الارض ويعيش من خلالها، لكن القدر حال دون عودته لأنه أصيب بوباء فتوفي هناك، لتصبح هذه المرأة وحيدة مع جارية تعينها على شؤون المنزل، اعتمدت على نفسها لقضاء شؤون حياتها وجاءت إلى هذه الجزيرة قبلها بسنة واحدة امرأة تدعى "مرغريت" وهي من بريطانيا كانت في شبابها فتاة ساذجة أقامت علاقة مع أحد نبلاء فحملت منه وأتت لهذه الجزيرة فرارا من أعين الناس إلى أن التقت ب"هيلين" زوجة "مسيو دي لاتور" فجمعت بينهم الهموم في هاته الجزيرة النائية، كما كان يعيش في هاته الجزيرة قبل قدوم السيدتين إليها "شيخ" فر من المدينة وضوضائها باحثا عن السعادة بين أحضان الطبيعة فكان لقائهم وبنى "الشيخ" ل"هيلين" و"مرغريت" كوخان متجاوران وعاشتا مع بعضهما رفقة خادميهما "ماري" و"دومينيج" وولديهما حيث كان ل"مرغريت" ولد اسمه بول وبعد عام واحد ولدت "هيلين" فتاة أسمتها "فرجيني" تربت هي وبول في مهد ورضعا ثديا واحدا وكان لكل منهما أمين ولكل أم ولدين، وظل حبهما يكبر وينمو معهما ليتحول من حب الأخوة الصداقة إلى حب بين رجل وامرأة وفي أحد الأيام قامت "هيلين" بمراسلة عمتها تطلب منها أن تستقبل ابنتها لتعيش معها وتحظى بحياة سعيدة لأن عمتها كانت امرأة ثرية، فرفضت عمتها طلبها أثر هذا على "هيلين" إلا أنها وجدت من يواسيها ووجدت في صديقتها العزاء، وبعد مرور وقت بعثت عمت "هيلين" رسالة تطلب منها أن ترسل لها "فرجيني" لتكون لها سندا، وتنعم بحياة سعيدة هناك، فكان هذا بمثابة حلم لـ"هيلين" وسيتحقق، أعملت ابنتها بهذا الأمر ولم يلق قبولا من "فرجيني" التي كانت تأبى أن

تفارق "بول" لأنها لا تستطيع العيش بدونه، وأعلمت "مارغريت" ابنها بخبر سفر "فرجيني" حزن لهذا كثيرا وعاتبها في ليلة من الليالي على أمر سفرها وأخبرته بأنها تضحي من أجل حبهما ولكي يحضيا بحياة سعيدة بعد عودتها من السفر، وسافرت "فرجيني" وتركت حبيبها "بول" الذي حزن حزنا شديدا لفراقها، ولأنه لم يحض بفرصة وداعها، عاش أياما وهو على حالة من الحزن، لكن بعد مرور وقت اعتدوا على فراقها منتظرين عودتها في يوم من الأيام، وانقطعت أخبارها ولم تردهم أي رسالة منها، ولكن سرعان ما علمت "فرجيني" بأن رسائلها لم تصلهم وأرسلت عبر طريق آخر رسالتها التي تخبرهم فيها بأنها بخير مع أنها لم تستطع التأقلم مع حياتها الجديدة ، وأنها كلها شوق إليهم، ولأنها لم تقدر على أن تحيا في هذه البلاد طلبت عمتها بإعادتها إلى الجزيرة، ولما سمع "بول" بخبر قدوم سفينة أسرع ليعرف من أين أتت وربما تكون فيها "فرجيني" لقد صدق ظنه وذهب هناك ولأن السفينة لم تستطع العبور أرسل ركابها رسائل لأهلهم يخبرونهم بقدومهم ومن بين الرسائل كانت رسالة من "فرجيني" تخبرهم بأنها على متن السفينة وسيكون لقاؤهم قريب وأي لقاء هذا؟ حلت بهاته الجزيرة عاصفة فلم تستطع السفينة عبور المضيق فأودت هذه العاصفة بالسفينة التي كانت عليها "فرجيني" وماتت وحزن الجميع لوفاة هذه الفتاة وعم على هاته الأسرة حزن عميق، و"بول" كان أكثرهم حزنا لأنه فقد من يهواها فأصابه ما يشبه الجنون وأصبح شخصا آخر من شدة حزنه عليه فتوفي عند قبرها، ولم يطل بقاء أميه وخادميهما فماتوا جميعا بعد معاناة كبيرة ولم يطل بقاء الشيخ وبعدما روى قصتهم توفي.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر.

1) مصطفى لطفي المنفلوطي: الفضيلة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ط1.

ثانيا: المراجع.

1) إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر، عمان، 2007م، ط2.

2) إحسان عباس: فن الشعر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1996.

3) أحمد عوين: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2001م، ط1.

4) أنطونيوس بطرس: الأدب تعريفه، أنواعه، مذاهبه، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2005، د.ط.

5) إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة للنشر، بيروت، لبنان، 1983م، ط2.

6) حامد حنفي داود: تاريخ الأدب الحديث، تطوره، معالمه الكبرى، مدارسه، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1993، د.ط.

7) سامي هشام: المدارس والأنواع الأدبية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1979م، د.ط.

8) السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية، د.ب، د.ط.

9) سلمى خضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر:عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001، ط1.

10) سيدي ولد ديب: الجماليات الرومانسية، راهنيتها وحدودها، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2006، ط1.

11) صابر عبد الدايم: أدب المهجر، دار المعارف، القاهرة ط1، 1993.

12) صالح مفقودة: أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، الجزائر، د.ت، د.ط.

13) طه وادي: مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية، دار النشر للجامعات، مصر، 1997، ط2.

14) عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى، عين المليلة، الجزائر، 2004، د.ط.

15) عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، د.ن د.ب، د.ت، د.ط.

16) عبد العاطي شلبي: دراسات في فنون الأدب الحديث، المكتب الجامعي الحديث، إسكندرية، 2005، ط1.

17) عبد القادر القط: في الأدب العربي الحديث، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، د.ط.

18) عبد اللطيف محفوظ: وظيفة الوصف في الرواية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

19) فايز ترحيني: الدراما ومذاهب الأدب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ط1.

20) فائق مصطفى وعبد الرضا علي: في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، نشر مديرية دار الكتب للطباعة، الموصل،العراق، 1989، ط1.

21) فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومانطقية في الأدب العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، د.ط.

22) فؤاد المرعي: المدخل إلى الآداب الأوروبية، منشورات جامعة حلب، 1981، ط2.

23) مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ط2.

24) مجموعة من الأساتذة: المفضل في تاريخ الأدب العربي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1923.

25) محفوظ كحوال: المذاهب الأدبية، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007، د.ط.

26) محمد أحمد ربيع: في تاريخ الأدب العربي الحديث، دار الفكر، عمان، 2006، ط2.

27) محمد صايل حمدان: قضايا النقد القديم والحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، د.ط، 2010.

28) محمد عبد المنعم خفاجى: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الجيل، بيروت، 1992م، ج1، ط1.

29) محمد عبد المنعم خفاجى: مدارس الشعر الحديث، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004، ط1.

30) محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، د.ت، د.ط.

31) محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2004، د.ط.

32) محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د.ت، د.ط.

33) محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ط6.

34) محمد مصايف: جماعة الديوان في النقد، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1982م، د.ط.

35) محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للنشر، يناير 2004، مصر، د.ط.

36) محمد مندور: النقد والنقاد المعاصرون، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، 1997م، د.ط.

37) محمد مندور: في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت، د.ط.

38) محمد هادي مرادي، وآخرون: لمحة عن ظهور الرواية العربية وتطورها، دراسات الأدب المعاصر، السنة الرابعة، شتاء 1931م، العدد السادس عشر.

39) محمد واضح رشيد الحسني الندوي: أعلام الأدبي العربي في العصر الحديث، دارا لرشيد، لكاؤ، الهند، د.ط.

40) محمود الربيعي: في نقد الشعر، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، د.ط.

41) مصطفى هدارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1990م، ط1.

42) نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، د.ط.

43) واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،د.ت، د.ط.

ثالثا: الرسائل

1) مليكة بوجفجوف: بنية الوصف ووظائفه في ألف ليلة وليلة حكايتا "الحمال والثلاثينات" و"السندباد البحري"، مذكرة ماجستير، قسنطينة، الجزائر، 2009/2008.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.	أ–ب
الفصل الأول: المذهب الرومانسي وخصائصه الفنية.	
أولا: الرومانسية عند الغرب.	04
1) تعريفها.	04
2) عوامل نشأة الرومانسية الغربية.	06
3) أعلام الرومانسية الغربية.	10
ثانيا: الرومانسية العربية.	15
1) عوامل نشأتها.	15
2) مدارسها.	17
ثالثا: خصائص الرومانسية.	23
1) الخيال والصورة عند الرومانسيين.	23
2) العاطفة.	24
3) الطبيعة.	26
4) الوحدة العضوية.	27
5) العبارة الرومانسية.	27
رابعا: الرواية الرومانسية.	28
1) تعريف الرواية الرومانسية.	29
2) عوامل تطور الرواية الرومانسية.	29
3) خصائص الرواية الرومانسية.	31
الفصل الثاني: ملامح الرومانسية في رواية الفضيلة.	
أولا: الطبيعة.	34
1) وصف الطبيعة.	34
2) الهروب إلى الطبيعة.	43
3) الإتحاد مع الطبيعة.	45

4) الله والطبيعة.	48
ثانيا: الخيال.	51
ثالثا: العاطفة.	58
1) الحب.	58
2) الألم.	65
خاتمة.	70
الملحق.	
قائمة المصادر والمراجع.	
فهرس الموضوعات.	

ملخص:

إن الرومانسية مذهب استطاع أن يرقى بالإنسان ويكشف جوانب من نفسه من خلال اعطائه الحرية في التعبير، فاستطاع أن ينتج لنا أدبا راقيا ينبض بالمشاعر والأحاسيس لأنه اهتم بالفرد العادي البسيط وجعله في كثير من الأحيان موضوعا لأعماله وأعاد الاعتبار له، كما أن رواية "الفضيلة" رواية رومانسية بحيث تجلت فيها أبرز خصائص الرومانسية والتي تناولت من بينها الطبيعة التي طغى على استخدامها النفس الرومانسي من خلال لجوء صاب النص إليها وجعلها مسرحا لأحداث روايته والامتزاج بها، فتعددت أوجه حضورها بين ثنايا النص الروائي، والخيال الذي كان عينا للروائي في رسم صوره سواء ما تعلق بوصف الطبيعة أو الشخصيات، أما العاطفة فقد سمى بها صاحب الرواية وأوردها بأشكالها المختلفة وبرز فيها بشكل خاص الحب والألم.

الرومانسية الرواية

Résumé:

La doctrine romantique pourrait équivaloir à l'être humain et révèle des aspects du même en lui donnant la liberté d'expression, a été en mesure de produire notre littérature émotions et des sensations de battement sublime qui intéresse simple individu normal et le rendre plus souvent l'objet de son travail et recompte pour lui, et le roman « la vertu » romantique pour qu'il se manifeste des propriétés les plus romantiques, qui traitent, y compris la nature qui a dominé l'utilisation de soi romantique par le recour texte SAB à lui et faire la scène des événements de son roman et les entremêler les aspects Vtaddt de sa présence dans les plis du texte narratif, et la fiction qui était une sorte de fiction en images de dessin, si Une description de la nature ou attaché aux personnages, la passion a été nommé par l'auteur du roman et cité sous ses diverses formes et a émergé en particulier où l'amour et la douleur.

Romance le roman